obeikan.com

الحب في زمن الكاديلاك

١

الحب في زمن الكاديلاك
قصص
لؤي عبد المنعم -رابعة علي - نهى مجدي سالم
الطبعة الأولى : ٢٠١٥

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

تصميم الغلاف : إيمان صلاح
إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢٦٥٨٢
رقم الترقيم الدولي : 978-977-6412-97-2

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

obeikan.com

لؤي عبد المنعم - رابعة علي
نهى مجدي سالم

الحب
في زمن الكاديلاك

الحلم للنشر و التوزيع

obeikan.com

الفهرس

د.لؤي عبد المنعم

٥ أحبك
٩ أمي
١٥ بئر مسعود
٢٧ إحساس حقيقي

د.نهى مجدي سالم

٤١ زواج تيك أواي

د.رابعة علي

٦٣ الحب في زمن الكاديلاك

obeikan.com

أحبك

obeikan.com

obeikan.com

- صه.. استمعن!

توقفت الطالبات عن التحدث بينما المدرسة تنصت بقوّة وفي تركيز شديد جعلهن يُدِرن أبصارهن في سكون الغرفة.. بينما آذانهن تستمع لأقل صوت، لكن.. لا شيء.

- «أ»؟ إنه يقول «أ»! هل أحد استمع إليه؟

أخذت الطالبات ينظرن إلى بعضهنّ البعض في دهشة.. فهن لم يستمعن إلى شيء.

- «ح»؟ إنه يقول «ح»! أنا أسمعه بوضوح؟ إنه يهمس بها في أذني.

غلبت الدهشة الجميع وبدا صوتهن يعلو.. إلا أن المدرسة أشارت لهن بالصمت وهي تقترب من النافذة ويعلو نظرها إلى السماء.. إلى بعيد.. بعيد جدا.

- «ب»؟ لقد سمعتها بوضوح! نعم.. إنها حرف الباء..

وصمتت! صمتت وقد علا وجهها حمرة من الخجل، بينما طافت فوق عينيها ملامح ذكرى بعيدة. ابتسامة رقيقة علت شفتيها وهي تنظر من النافذة إلى شيء ما.. شيء بعيد عنها.. شيء بينها وبينه آلاف الأميال.. والأميال.. شيء همس بحرف أخير استمعت له بكل كيانها وبكل قلبها.. حرف ملأ قلبها بحنين لم تشعر به منذ زمن.. حرف جمع كلمة.. وكلمة جمعت صوتا مألوفا ملهوفا مشتاقا.. صوتا تعجبت كيف استمعت له.. وتعجبت أكثر كيف شعرت به.. وتعجبت أكثر عندما ردّت عليه.

أجابته بهمس ولمسات من أناملها إلى صورته التي تحملها في قلبها.. لتقول له نفس حروفه.. ولتصل له نفس رسالته.. ليغلق عينيه عليها وهو يتلمس شغاف قلبه المليء بها.. ويكرر مرة أخرى وأخرى وأخرى.. تلك الرسالة الصامتة.. وتلك الحروف الوامضة.. «أ ح ب ك».. الحروف التي بدت كلمات طويلة.. لكنها تبقى كلمات صامتة.

obeikan.com

أمِّي

obeikan.com

obeikan.com

- هههههههههههههه..

- ههههههههه..

ارتفعت ضحكات هذا الطفل الصغير وهو يجري في سعادة بالغة ويختبئ خلف هذا الشاهد العالي عن الأرض قبل أن يركض ضاحكا وهو ينظر خلفه بينما أراقبه مستغربا تلك الضحكات البريئة، خاصة في هذا المكان الذي لا يرتفع فيه عادة إلا أصوات الصراخ والعويل على الأموات و..

- محمود.. محمود.

توقف الصبي الصغير عن اللعب وهو يلتفت إلى باب المقبرة حيث شاهد والده.. فأسرع إليه ضاحكا وهو يقول:

- بابا.. بابا.. تعالَ العب معنا.

احتضن الأب ولده وهو يقول له في هدوء:

- ألم أقل لك لا تزعج عمك حسّان بلعبك؟!

نظر الولد في براءة إلى ذلك الرجل الجالس وقال في براءة:

- أنا لم أزعجه يا أبي.

أمسك الأب يد ابنه وذهب إلى حسان وهو يقول له:

- شكرا يا عم حسان لرعايتك محمود.. إنه ظرف طارئ كما تعلم.

أومأ حسان برأسه وهو يقول:

- لا عليك دكتور أدهم؛ فأنا أعلم.

ثم تابع وهو يربت على رأس الصغير:

- كما أن محمود الصغير لم يزعجني؛ فهو يلعب طوال الوقت.

التفت أدهم إلى ولده الذي ترك يده وعاد يتقافز مرحا وضحكا حول هذا الشاهد، ما جعله يقول بصوت غاضب:

- محمود.. لا يصحّ هذا.

ابتسم عم حسان وهو يقول:

- هكذا هو طوال اليوم، بل كلما يأتي إلى هنا وتتركه معي.

عقد الوالد حاجبيه في غضب وهو يتقدم إلى ولده قائلا بصوت صارم حازم:
- محمود.. كفى.
التفت الولد إلى أبيه قبل أن يتلفّت حوله ويومئ برأسه كأنما يجيب أحدا ما.. ثم ذهب إلى والده قائلا:
- آسف يا أبي.
هدأ الوالد قليلا قبل أن يجلس أمام القبر يقرأ «الفاتحة» على ساكنه.
وملأ الصمت المكان، بينما الأب يحاول كتمان مشاعره وكتمان تلك العبرات الحارة التي تجاهد أن تفر من مقلتي عينيه.. ثم قام وهو يمسك يد ولده ليغادر المكان، إلا أن الولد رفع رأسه قائلا:
- أبي، ألن تأتي ماما معنا؟ لماذا نتركها هنا؟
التفت الأب إلى ولده الصغير وتنقل ببصره بين هذا القبر وبين ولده.. ثم قال وإحدى عبراته تفر من بين أحد جفنيه:
- إنها ليست هنا يا محمود، إنها الآن في السماء و...
قطع كلمته عندما نزع الولد يده من بين يديه وهو يقول غاضبا:
- لاااا، إنها ليست في السماء، إنها هنا.. هنا.. أنا كنت ألعب معها طوال اليوم.
نظر الأب إلى ولده ثم تمالك غضبه وهو يقول:
- اسمع كلام أبيك يا محمود، هيا بنا؛ فوالدتك عند الله تعالى في السماء..
عقد الصغير حاجبيه وهو يضرب الأرض بقدمه في غضب طفولي قائلا:
- لاا، أنت لا تقول الحقيقة، لقد كنت ألعب معها منذ الصباح كما كانت تلعب معي في المنزل، حتى إنها كل مرة تقول لي أن أسمع كلامك ولا أغضبك..
ثم انخرط في حالة من البكاء المفاجئ وهو يتابع:
- لكنها أوحشتني يا أبي.. أريد أن أنام في حضنها ليلا.. أريد أن أستمع لحكاياتها.
ثم تشبّث بقدم أبيه وهو يقول:
- أرجوك يا أبي اجعلها تأتِ معنا.. أرجوك.. أرجوك.

obeikan.com

انفرطت قطرات من الدمع على وجه الأب ووجه عم حسان المراقب لهما، بينما جلس الأب على ركبتيه ضامًّا الولد إلى صدره وهو يقول:
- اهدأ يا محمود.. اهدأ يا ولدي.. أمّك الآن ترانا من السماء وهي لا تحب أن تراك هكذا تبكي.
التفت الولد إلى قبر والدته قبل أن يترك أباه ويعدو في اتجاه هذا الشاهد ليختبئ خلفه قليلا قبل أن يعود إلى والده وهو في غير الحال قائلا:
- أبي.. أبي.. أمي تقول إنها ترتاح في السماء وتهبط لكي تلعب معي.. آسف يا أبي..
وقف الأب مطلقا بصره تجاه هذا الشاهد فوق القبر قبل أن يهز رأسه في حيرة وهو يسير مع ولده الذي التفت خلفه وهو يلوّح بيديه لتلك المرأة التي تقف بجوار القبر بملابسها الخضراء والتي تقول له بنبرات كلها حزن:
- «سوف أفتقدك جدًّا جدًّا يا صغيري».
تلك الكلمات التي لم يسمعها أحد سوى هذا الصغير بقلبه الصافي.. الذي أجابها هو أيضا:
- وأنتِ أيضا يا أمّاه.
بنفس كلماتها..
كلمات.. صامتة.

obeikan.com

obeikan.com

بئر مسعود

obeikan.com

تساقطت قطرات الماء على تلك الصخور المحيطة ببئر مسعود وفوق الجالسين عليها، الذين استقبلوها بانتعاش وفرح شديدين.. بينما تنسحب تلك الموجة التي تسببت بها إلى قلب البحر الذي تلوّن بألوان الغروب الرائعة قبل أن تختفي شمس المغيب وتغوص داخله لتبدأ نجوم السماء في الظهور واحدة وراء الأخرى وكأنّها تتسابق قبل أن يظهر القمر، منافسها الوحيد، في سماء صافية ويرسل أشعته الفضّية التي تألقت فوق كل الجالسين على تلك الصخور والتي تحيط ببئر مسعود.

كان بعضهم يجلس وحيدا شاردا فوق صفحة الماء مطلقا لعقله وقلبه العنان.. بينما يجلس البعض وهو يهمس بهمسات الغرام والهيام إلى حبيبه أغمضت عينيها وهي تستمع وترتشف تلك الكلمات بينما يختلج قلبها بين الضلوع..

«حبيبي شايفك وانت بعيد.. بعيد..

وانا في طريق الحزن وحيد..

وكل خطوة في بعدك ليل.. ليل..

وشوق وذكرى وجرح جديد..

حبيبي شايفك.. بقلبي شايفك.. بروحي شايفك..

شايف سلامك.. إيديك كلامك.. ضحكة شفايفك».

ترددت تلك الكلمات في عقل ذلك الجالس في أول الصفوف.. لتختلط الكلمات وألحانها الحزينة مع صوت الأمواج وهي تعانق الصخور أسفل قدميه.

كانت عيناه الشاردتان تغوصان إلى أعماق أعماق البحر وهما تلتمعان بعبرات من الدمع الذي انسال بهدوء فوق وجنتيه قبل أن ينساب فوق تلك الأنامل الرقيقة التي احتوته، بينما التفت الجالس إلى صاحبة تلك الأنامل لينبض قلبه بنبضات من الفرح والسرور والحب وهو يحتضن بيديه تلك الأنامل الرقيقة بكل حنين وشوق و...

- عبرات حزن أم فرح؟
جلست بجواره ليشعر بدفء جسدها وهو يسري بين خلايا قلبه وهو يقول:
- بل عبرات فرحي بلقائك يا حبيبة العمر.
التمعت عيناها وهما تلتقيان عينيه ليحتوي كلّ منهما قلب الآخر للحظات قبل أن تحمرّ وجنتاها خجلا وهي تقول:
- هل.. هل تأخّرت عليك؟
قال لها وهو يحتويها بعينيه:
- وهل تركتِني حتى تتأخّري عليّ؟
ثمّ همس في أذنها بكل لهفة وشوق وحنين:
- حبيبتي أنتِ سكني وسكناي.
أغلقت عينيها فوق كلماته التي امتلأت بحنين جعل قلبها يرتجف بين الضلوع ورأسها يميل ليلامس كتفيه بينما خصلات شعرها الحريري تتطاير على وجهه يتخلّلها رذاذ من ماء فضّي اللون حملته أمواج البحر إليه وهو يميل برأسه في هدوء فوق رأسها ليرسما صورة حب نُحتت فوق صخور بئر مسعود.
- ها هو يميل برأسه كما قلت لي.
قالها ذلك الرجل بلهجته الإسكندرانية الواضحة وهو لا يبعد نظره عن ذلك الجالس، بينما الآخر يقول في غضب:
- ألن ينتهي هذا الأمر أبدا؟ أنا ذاهب إليه.
أمسكه الآخر من يده وهو يقول في شفقة:
- ألن يؤثّر ذلك عليه؟
نظر له الرجل الآخر وهو يعقد حاجبيه في تفكير قبل أن يقول في غضب:
- لا يهمّ..
قالها وهو يتّجه إلى ذلك الجالس الّذي لم يكن يشعر بأي أحد سوى حبيبته التي كانت تهمس بكل مشاعر الحب والحنين.

- لقد اشتقت إليك جدًّا يا حبيب العمر.
التفت إليها في دهشة وهو يقول:
- اشتقتِ إليَّ؟! كيف وأنا بجوارك؟!
التفتت إليه ليلتمع شعاع القمر فوق عينيها العسليّتين وهي تقول بصوت حنون دافئ:
- أعلم ذلك، لكنّ شوقي لقربك أقوى من أي احتياج آخر لديّ ولا أريدك أن تبتعد عنّي أبدا.
احتضن يديها وهو يقول:
- زوجتي الحبيبة، أنا لن أتركك أبدا أبدا و...
- من فضلك يا أستاذ..
أخرجه هذا الصوت ليلتفت إليه في دهشة بينما زوجته التفتت إلى البحر غير عابئة به.
- أريد أن أقول لك شيئًا.
قالها وهو يلتفّ ليقف أمامه وأمام زوجته في صفاقة وهو يقول:
- هل ستجلس هنا كثيرًا؟
اتسعت عيناه دهشة لقوله هذا، حتى إن الكلمات اختنقت في صدره فأخذ يسعل بشدّة جعلت الرجل الآخر يخفت من حدّة صوته وهو يتابع.
- إنّي أقصد.. أقصد أن هذا.. هذا المكان مميّز.. و...
- لا عليك..
قالها في هدوء وهو يمسك بيديه على يدي زوجته ليبثّها بعض الطمأنينة التي جعلت الآخر ينظر إليه وهو يزفر من فمه زفرة حارة ويقول:
- فقط أريدك أن تعرف أنّني.. أنّني أراقبك.. فلا تفعل ما تفعله كلّ مرّة، وصدّقني أنا أخاف عليك وعلى مصلحتك.
استغرب كلماته هذه مع أن زوجته لم يظهر أي أثر عليها.. وحتّى لا يطيل النقاش معه قال:

- وهو كذلك..
قالها ليجلس بجوار زوجته التي ظهر عليها بعض التوتر، ما جعله يتابع:
- هل تبتعد قليلا؟ فأنت تخفي البحر من أمام عيني زوجتي.
أدار الرجل عينيه إلى جواره ليكتم غيظه وارتجف.. ارتجف وهو يحدّق بعينيه قبل أن يفركهما بيديه في قوّة وكأنّه يغسلهما بماء البحر.. وابتعد.. ابتعد من دون أن يقول أي كلمة، بل كان يلتفت إليه وعيناه تحملان بعض الخوف والرهبة حتى وصل إلى صديقه الذي قال له:
- ماذا حدث؟ هل كلّمته؟
التفت الآخر خلفه ليرمق ذلك الجالس وهو يقول:
- لقد نظرت إليَّ بقسوة.
التفت صديقه إلى مكان ذلك الجالس الذي كان يتحدّث بصوت هامس لا يصل حتى إلى تلك الصخور التي يجلس عليها ثمّ قال:
- نظرَت إليك؟! إذًا أنت لم تكلّمه.
نظر صديقه إلى مكان ذلك الجالس على الصخور وقال في شرود:
- هذه أول مرّة تنظر لي هكذا.. هذه المرّة مختلفة.
وبعيدًا عنهما كانت الزوجة تنظر إلى أسفل في انكسار جعل زوجها يقول في خوف:
- حبيبتي.. لا عليكِ بما قاله و...
سمعها تقول بصوت خافت حزين:
- هو على حقّ.. يجب ألا تعود إلى هنا ولا نتقابل مرّة أخرى.
شعر وكأنّ قلبه يكاد يتمزّق ويده بدأت ترتجف والدمع تلألأ في عينيه، بينما هي تقترب منه وتحتوي يديه بين يديها وتقول:
- حبيبي.. إنّي أخاف عليك، يجب أن نتوقّف عن رؤية بعضنا البعض، هذا هو الصحيح.
كان صوته منخنقا لا يستطيع أن يخرجه، حتى أنفاسه شعر أنها تضيق بين

أضلعه.
- حبيبي، أنت تعلم كيف أحبّك بل أعشقك ولا أتمنّى سوى البقاء بجوارك أتنسّم أنفاسك وأترنّم بدقات قلبك ولكن لا أستطيع العودة للقائك؛ فأنا أظلم...
وضع أطراف أصابعه على فمها الدقيق وهو يقول:
- لا.. لا تقوليها.. أنتِ أبدا أبدا لم تظلميني.. هذا هو اختياري الذي ارتضيته لنفسي.. لقد اخترت أن أبقى معكِ ولكِ.. اخترت حبّك وحنانك وقلبك الدافئ.. اخترت مَن أعطتني الحياة والحب.. اخترتك أنتِ يا أعزّ وأحب من في الدنيا إلى قلبي.
دفنت رأسها بين ثنايا صدره وعبراتها تلتهب فوق جفنيها.. فضمّها إليه في هدوء ليشعر بها وهي تتسلّل بين خلاياه وتندمج معها كطيف من نور انتعشت وارتوت به كلّ ذرّة من ذرّات جسده حتى تمنّى لو توقّف الزمن به عند هذه اللحظة.
ولكي يجعلها تهدأ، قال لها وهو يبعدها قليلا عن صدره ويُخرج شيئًا ما من جيبه:
- انظري إلى هذه العملة.
نظرت لها لتجدها عملة ذهبية اللون على وجهها صورتها هي، وعلى الوجه الآخر صورته هو وفي إطارها يتكرّر تاريخ ميلادها مع تاريخ اليوم، وهو تاريخ زواجهما، وعلى الرغم من جمال وروعة تلك العملة، فإن الحزن الذي ارتسم على ملامحها جعله يقول في أسى:
- ألم تعجبك؟
نظرت إليه نظرة تحمل كل آيات الحب والشوق والحنين التي اندمجت مع ملامح وجهها الحزين وهي تقول:
- بل هي رائعة.. ولكن!!
نظر لها في توسّل وألم وكأنّه يعلم ما ستقوله بينما هي تضع كفيها على

وجنتيه وتقول بصوت خافت:
- يجب أن أذهب..
شعرت بحمم من العبرات تعبر أناملها وتغرق يديها فاقتربت برأسها من رأسه لتتماس جبهتاهما وهي تهمس بصوت يملأه الأسى:
- حبيبي.. يجب ألا تعود مرّة أخرى.
التحمت عبراتهما معا، حتى إنها أخذت تنتفض في قوّة وكأنّها تتعرّض لبرودة قاسية جعله يريد أن يضمّها و...
- لاااا.. لن أنتظر أكثر من هذا.
قالها الرجل لصديقه وهو يهم أن يعدو إليهما، إلا أن صديقه قال:
- انتظر، إنه لم يفعل شيئًا بعد.
قال في غضب ونفاد صبر:
- وهل سأنتظر إلى أن يفعل؟ كما أنّني أعلم تمامًا ما سيفعل؛ فهو يقوم به كلّ مرّة وفي نفس هذا اليوم.
ثمّ نظر إلى الصخور وهو يتابع:
- سوف يقوم الآن ويخلع سترته ثمّ يضعها عليها كما يتخيّل ثمّ يتركها ويأتي إلينا ليشتري شرابا ساخنا ثمّ يعود إليها وتقوم هي من مكانها لتساعده، ولكن.. ولكن...
صمت لحظات ثم تابع بأسى وحزن بينما صديقه يكاد يبكي:
- تأتي تلك الموجة العالية لتغرقهما بمياهها، وعند انسحاب الموجة يختلّ توازن زوجته وتقع و.. يبتلعها البحر.
صمت لحظات ثم تابع بصوت متألم:
- ستسقط الأكواب من يديه وتأخذه الصدمة ثمّ يحاول أن يقذف بنفسه وراءها، وهنا أتدخّل أنا لأمنعه.
ثم تابع في غضب مكتوم:
- لقد تعبت فعلا.

عشرة أعوام كاملة منذ هذا اليوم المشئوم وهو يأتي إلى هنا في نفس اليوم ويجلس في نفس المكان ويعيد نفس الأحداث ويتخيّل أنها معه، حتى إنه يأتي إلينا ويشتري الشراب الساخن ثمّ يعود إليها ويظل يصرخ ويصرخ ويحاول أن يقذف بنفسه و...

- انظر.. انظر..

قاطعه صديقه وهو يصرخ بهذه الكلمة ويشير إلى الصخور فالتفت لينظر حيث أشار ليفغر فاه في دهشة مما يراه.

لقد قام الزوج من مكانه فعلا وخلع سترته ليضعها على زوجته وبدلا من أن تقع السترة ككلّ مرّة إذا بالستره تتعلّق في الهواء.. تعلّقت للحظات قليلة وكأن أحدا فعلا يرتديها.. لحظات ولكن كافية لكي يراها الرجلان المتابعان لحركة الزوج.. الزوج فقط هو الذي لم يرَ هذا.. الزوج فقط كان يرى حبيبته وهي ترتدي سترته وتنتفض من الرجفة.. فقال لها:

- سأذهب لآتي لكِ ببعض الشراب الدافئ..

قالها وهو يغادر المكان وتوقّف.. توقّف عندما شعر بيد حبيبته وهي تتمسّك بيده.. كان يدير ظهره لها عندما توقّف وهو لأوّل مرّة يشعر بها وهي تمسك بيديه.. وفي بطء شديد.. وبعينين امتلأتا بالعبرات.. التفت إليها.. التفت لأرقّ وأحب وأجمل مخلوقة في الكون.. التفت لمن لم يحب ولم يعشق سواها.

وبتلك الكلمات التي لم يسمعها سواه وكأنها كلمات من الصمت.. سمعها تقول:

- لا تذهب.

اخترقت تلك الكلمة قلبه قبل أذنه ليشعر بجسده وهو يرتجف كما لم يرتجف من قبل.

- هذه المرّة سأذهب أنا.

كانت أمامه مثلما رآها آخر مرّة.. ترتدي فستانها الأبيض ذا الحزام الأحمر. كان يراها ويشعر بها كما لم يشعر بها من قبل وهي تتابع:

- من أجلي أنا يا أحب من في الدنيا إليَّ.. من أجل زوجتك وحبيبتك أرجوك ألا تعود هنا مرّة أخرى.

لم يستطع التكلّم.. فقط كان يبكي.. يبكي بكاء صامتا.. عبرات تنهمر وهو يقبض بيده على يدها ويعتصرها في قوّة غير المصدّق.

- لو أنّك تحبّني حقا فلتعد كما كنت ولا تعُد إلى هنا.

عيناه وقلبه، بل كلّ ذرّات جسده، كانت تنتهل من رؤيتها وكأنّها طاقة يريد اختزانها بأكملها داخل جسده.. ورويدا رويدا شعر بها وهي تسحب يدها من يده.. حاول التشبّث بها.. حاول أن يصرخ.. حاول الإمساك بها.. حاول.. وحاول.. وحاول.. وحاول.. ولكنّها كانت تختفي من أمامه.. كانت تختفي ورسالتها تتكرّر في رأسه:

- لا تعُد إلى هنا.. لا تعُد إلى هنا.. لا تعُد.. لا تعُد..

- هل أنت بخير؟

شعر بمن يهزه في عنف وهو يعاود قوله:

- أنت.. هل أنت بخير؟

كان يشخص بعينيه إلى السماء وعيناه تتبعان شيئًا ما وهو غير مدرك لمن حوله حتى شعر بتلك الدفعة القوية مع بعض الماء المثلّج على وجهه ليخرج مما هو فيه ليجد رجلين بجواره وأحدهما يقول في ارتياح:

- الحمد لله.. الحمد لله.. إنّك بخير.. أليس كذلك؟

أومأ إليهما برأسه ثمّ عاد ينظر إلى السماء وهو يدير بصره في أرجائها وكأنّه يبحث عن شيء ما وهو يستمع لأحد الرجلين وهو يقول:

- أنت لن تفعلها.. أليس كذلك؟

التفت إليه متسائلا ليتابع في قلق:

- لن تحاول أن تقذف بنفسك إلى البحر ككلّ مرّة.. أليس كذلك؟

أومأ برأسه إيجابا ليتركاه وحيدا حيث جلس للحظات قبل أن يقوم من مكانه متوجّها إلى بئر مسعود حيث وقف بجوار الواقفين الذين كانوا يتدافعون

ضاحكين وهم يلقون بقطع النقود المعدنية متمنّين أن تتحقق أمانيهم..

وضع يده في جيب سترته ليخرج تلك القطعة الذهبية ويقرّبها إلى فمه ليطبع عليها قبلة رقيقة.. ثمّ رفع رأسه إلى السماء ليدعو الله عز وجل أو ليبثّ هو الآخر أمنيته.. أمنيته الأخيرة.

ومع تلك السحابة التي غشيت عينيه قذف القطعة الذهبية داخل البئر.. ثمّ وقف للحظات قبل أن يغادر المكان.. وهذه المرّة.. بلا عودة.

ومن بين عشرات العملات التي كانت تهبط في هدوء إلى قاع البئر.. انطلق من القاع ضوء أبيض ذو خطّ أحمر في منتصفه ليلتفّ حول قطعة ذهبيّة.. قطعة ذهبية على وجهيها وجهان.. وفي هدوء ونعومة، احتوى تلك القطعة ليتألق معها ويختفيا معا.. يختفيا بلا عودة..!!

هي وكلماتها الصامتة.

obeikan.com

إحساس حقيقي

obeikan.com

obeikan.com

مرّ عسكري الشرطة من فوق الأنقاض المتساقطة وقفز من فوق تلك العارضة التي أمامه قبل أن يقف أمام ضابط الشرطة فأدى التحية وهو يقول:

- سيدي، قائد البحث والتنقيب يخبر سيادتك أنه قد أتم عمله ولا يوجد جديد فهل يغادر المكان؟

أطل الضابط ببصره فيما حوله من باقي أنقاض العمارة المنكوبة التي سقطت حديثا في أحد أحياء مدينة الإسكندرية ثمّ أخذ شهيقا من الهواء المشبّع برائحة البحر المميزة وقال:

- ألا يوجد أحياء؟

عقد العسكري حاجبيه في حزن وهو يقول:

- للأسف يا سيدي لا أحد. فقط كل من يخرج من تحت الحطام هم..

صمت لحظة ليبتلع لعابه ويتابع في صوت مخنوق:

- جثث.

وقف الضابط وجال ببصره في تلك الآليّات التي ابتعدت عن الحطام ومعها طاقمها من الرجال والكلاب المدربة على هذه المواقف ثم قال:

- جثث.. فعلا!!

لقد مرّت ٥ أيام كاملة منذ الحادثة؛ فمن المؤكّد عدم وجود أحياء.

صمت وهو يدور ببصره فيما حوله قبل أن تقع عيناه على هذا البلدوزر العملاق الذي سيحمل الأنقاض ويسوّي الأرض فأشار إليه وقال:

- دعه يبدأ العمل.

أدى التحية ثم استدار لينفذ الأوامر قبل أن يتردد قليلًا وتظهر على ملامحه الحيرة، ما جعل الضابط يقول:

- ماذا هناك يا منعم؟

تلعثم العسكري منعم قليلًا ثم قال:

- محسن..

أعاد الضابط الكلمة في استفهام:

- محسن!! محسن من؟!
التفت العسكري ليشير بيده لرجل ما يجلس فوق أحد الأنقاض مادا يديه بين أحد تجاويفها.. وقال بصوت به لمحة من الشفقة والحزن:
- دكتور محسن عبد البصير، هذا الجالس هناك..
التفت الضابط حيث يشير العسكري ليرى هذا الشاب رثّ الثياب الذي امتلأ وجهه بغبار الأنقاض بينما يجثم ملازما لتلك الصخرة الكبيرة، مادا يديه في شقّ كبير بين جوانبها.
- أما زال عند تلك الصخرة؟
التمعت عينا العسكري ببعض الدمع وهو يقول:
- نعم يا سيدي، منذ أربعة أيام وهو لم يفارق هذا المكان ولا هذه الصخرة بالذات، لا يأكل ولا يشرب ولا نستطيع أن نزحزحه من هناك.. كما تعلم يا سيّدي فإنه يشعر أن زوجته ما زالت حية تحت هذه الأنقاض.
ركّز الضابط عينيه على هذا الشخص وبعض مَن حوله يحاولون إخراجه من مكانه، إلا أن محاولاتهم كانت تجعله يتشبّث أكثر به فقال:
- إنها صدمة الموت.. غدا سينسى.
نظر العسكري إلى الشاب ثم قال:
- لا أعتقد يا سيدي.. إن أهل الحي يقولون إن زوجته هذه هي حبّ عمره كلّه، بل إن الكثيرين منهم يقولون عنهما إنهما روميو وجولييت هذا العصر.
التفت الضابط إليه وقال في استخفاف واضح:
- روميو وجولييت؟! هل تصدّق هذه الروايات التافهة يا منعم؟ لا يوجد شيء اسمه روميو وجولييت. الحب لا يتجسّد خارج الروايات.. إنه محبوس داخلها فقط. هذه الحياة التي نعيشها لا يوجد بها حب.. فقط مصالح، وصدّقني بعد يومين سينساها وسيتزوّج أخرى.
كاد العسكري يدخل معه في نقاش، إلا أنه قال:
- إنهما متزوجان حديثا و... عن حب.

لم يتكلم الضابط، فقط أشار بإصبعين من أصابعه وكأنه يكرر مقولته «يومان»، ما جعل العسكري يشعر بالحنق وهو يقول:

- ماذا سنفعل معه يا سيدي؟

صمت الضابط قليلًا ثم قال:

- هل يجلس في هذه البقعة منذ سقوط العمارة؟

هز العسكري رأسه موافقا وهو يقول:

- تقريبًا يا سيّدي؛ فالمعلومات تقول إن يوم الحادث كان اليوم السابع من زواجه.. وقبل أن تقع العمارة بساعة تقريبًا جاءه اتصال من أحد سكان الحي يشتكي من ألم مفاجئ، ما جعله يترك زوجته ويذهب لعلاجه.. وبينما هو عائد.. صمت قليلًا ليبتلع لعابه وهو يقول في مرارة:

- شاهد العمارة وهي تقع أمام عينيه.. وقد جُنّ جنونه وهو يجري بين الأنقاض باكيا صارخا باسم زوجته.. وما إن انتصف النهار حتى وجدناه يقف منتبها وكأن أحدا يحدثه.. وهو يقول من بين دموعه: أتسمعون؟ إنها هدى. أتسمعونها؟ إنها تناديني. كنت يا سيدي أقف بجواره وقتها، والحقيقة لم نسمع أي شيء.. إلا أننا وجدناه يصرخ باسمها وهو يجري بين الأنقاض قائلا بصوت فرح: أسمعك.. أسمعك يا حبيبتي.. أسمعك. كان يقفز بين الأنقاض ويدور حولها حتى وجدناه يتحسّس تلك الصخرة التي يجلس عندها، ثم أخذ ينبش بها بأظافره ويدقّ عليها بيديه صارخا: زوجتي هنا.. زوجتي هنا.. إنها حيّة.. حيّة.

فوجئنا جميعًا بما يفعله وقد صدقناه فعلا وحاولنا أن نزيل الحجر.. وأزلناه فعلا و...

أكمل الضابط مقاطعا إياه:

- وبالطبع لم تجدوا شيئًا أسفله، وجلس هو يصرخ باسمها ويؤكد لكم أنها ما زالت في هذا الموضع وما زالت حية، أليس كذلك؟!

اتسعت عينا العسكري في دهشة وهو يومئ برأسه قائلا:

obeikan.com

- بالضبط يا سيّدي، لكنّك لم تكن معنا فكيف عر...

قاطعه وهو يتابع بعينيه تلك المحاولات التي يقوم بها أهل الحي محاولين إقناعه بالابتعاد عن هذه الصخرة قبل أن يتحرك البلدوزر الكبير:

- أكمل.

نظر العسكري في اتجاه البلدوزر الكبير الذي كان يتأهّب للتحرك على الرغم من أن محسن لم يغادر مكانه بعدُ وتابع في قلق:

- أحضرنا الكلاب المدرّبة لهذه المنطقة، لكنها لم تسفر عن شيء.. لم تشمّ رائحة أي إنسان، سواء حي أو ميّت، ومنذ هذه اللحظة وهو لم يفارق المكان، لا يأكل ولا يشرب إلا بالكاد، وكل فترة نسمعه يتحدث معها قائلا: أنا هنا يا حبيبتي. لن أتركك أبدا. أنا أسمعك وأشعر بك.. لا تقلقي.. سأخرجك من هنا.. ثم يعاود نداءه لنا، فنعود لنحفر ونزيل بعض الأنقاض حتى وجدنا تلك الصخرة الكبيرة التي لم نستطِع زحزحتها بالأدوات التي معنا إلى يومنا هذا.

ساد الصمت بينهما والضابط يفكر في وسيلة لإخراج هذا المجنون من مكانه دون أن يثير أهل الحي عليه، ثم قال:

- أريدك أن تذهب إليه ومعك قوّة لإخراجه من مكانه.

ثم ابتلع لعابه متابعا في حزم:

- ولو حملتموه حملا بالقوة.

openbookan.com

- محسن.. أرجوك تعالَ معنا. لقد مرّ خمسة أيام.
تشبّث محسن بذلك السيخ الحديدي الخارج من تلك الكتلة الكبيرة التي تشبه سقفا كاملا واقعا كقطعة واحدة وهو يقول في ضعف وإنهاك:
- لن أتركها يا أبي.. لن أتركها ما حييت.
ثمّ انهمرت عبراته في ألم وحرقة وهو يتابع:
- إنها هدى يا أبي.. هدى زوجتي وحبيبة عمري.
أمسكه الأب واحتضنه وهو يقول بصوته الباكي:
- إن حياتك ستذهب منا لو بقيت هكذا.
استكان محسن بين يدي والده قبل أن يقول:
- إن حياتي ليست هنا يا أبي.
ثم أشار إلى الصخرة وهو يتابع:
- إنها هناك.. معها.. مع هدى يا أبي.
ثم انهار فوق الصخرة وهو يتشبث بها بأقوى ما في جسده من قوة قائلا:
- أنا هنا يا حبيبتي.. أنا هنا.. تماسكي أرجوكِ.
عمّ الحزن على وجوه كل من حوله، بمن فيهم العسكري منعم وطاقم العسكر معه، الذين التفّوا حوله متهيّئين لإخراجه بالقوّة بينما هو يصرخ:
- لن أتركها وحدها.. لن أتركها.. صدقوني، أنا لست بمجنون.. أنا فقط.. فقط..
صمت قليلًا ثم تابع بكل مشاعره:
- أحب.. أحبّ..!!
ثم قال بصوت عصر قلوب الجميع:
- أحبّ وأحسّ بها. أحسّ بهمساتها التي ترسلها لي.. أحس بنبض قلبها الذي ينبض من أجلي.. أشعر بأنفاسها وكأنها تتنفّس من صدري أنا.. أنتم لا تسمعونها لأنكم لستم مثلي.. أنتم لستم مثلي.. لأنكم لا تمتلكون ما أملكه.. لا تمتلكون هذا.
ثم ضرب على صدره بقبضته وهو يتابع:

obeikan.com

- لا تمتلكون حبي هذا.. لا تمتلكون قلبي هذا.. إنها هنا.. هنا.. هنا.. هنااااااااااا.

وعلى الرغم من كلماته التي ألهبت عيون من حوله بالبكاء، أمسك العسكر بجسده ليحملوه بالقوة، بينما هو يتشبّث أكثر وأكثر و...

- دعوه..

قالها الضابط بصوت آمر قوي جعلهم يتركونه في مكانه، ليزحف بيديه إلى الموضع نفسه مكورا جسده ويحتضنه بقوّه.. بينما نظراته الزائغة المرتجفة تنظر لهم في خوف وترقّب. عندها اقترب الضابط منه قائلا:

- أنا أصدّقك.

ارتفعت عيناه المحمّلتان بأطنان من الألم والـ... أمل..

ليتابع الضابط:

- أصدق أن زوجتك هنا تحت هذه الأنقاض.. أتريد لها أن تخرج.. أن تكون معك هنا؟

أومأ محسن برأسه إيجابا والضابط يقول بصوت حنون خافت:

- إذًا لا بُدَّ أن تساعدنا وتبتعد عن الصخرة هذه حتى نستطيع إزالتها و...

صمت قليلًا وهو يركّز عينيه الجامدتين بعيني محسن المضطربتين المتعبتين ويقول:

- نعيد لك زوجتك.

- بارك الله فيك يا سيّدي.. بارك الله فيك.

قالها والد محسن وهو يمسك بابنه الذي وقف معه.. وهو يقول بصوت قلق:

- حقّا؟ حقا ستحاولون مرّة أخرى؟

ابتسم الضابط وهو يقول:

- بالطبع يا دكتور.. ألا تتكلّم معك وتخبرك أنها هنا؟

التفت الأب إليه وقد شعر ببعض السخرية في كلامه.. إلا أن الابن قال في لهفة:

obeikan.com

- نعم.. نعم.. كل يوم كانت تتكلم معي و...
سكت فجأة ثم نظر بحزن إلى الصخرة وهو يتابع في حزن:
- إلا أمس.. فقط منذ أمس وصوتها يخفت.
ثمّ تساقطت دموعه وهو يمسك بيد الضابط يقبلها قائلا:
- أرجوك.. أقبّل يديك.. أرجوك أنقذها.. فأنا أشعر أنها.. أنها.. تحتضر.
سحب الضابط يده ببطء وهو يبتسم ابتسامة لم تُرِح الأب أو أحدا من الجنود الواقفين الذين فهموا ما فعله الضابط الخبيث.. ثمّ التفت إلى البلدوزر الكبير مشيرًا له بعلامة، ما جعلت سائقه يعتليه فورا قبل أن يساعد الأب ولده ليتحامل على كتفه مبتعدا عن الصخرة والجميع يترقّب بعينيه ذلك البلدوزر الكبير الذي هدر صوته عاليا وبدأ يتحرك ليدكّ بجسده الثقيل كلّ ما يمرّ عليه وهو يقترب من تلك البقعة التي فيها الصخرة، بينما تدقّ القلوب خوفا و...
- توقّف.
ارتفع صوت الأب بهذه الكلمة وهو يتحرك إلى الصخرة ويقول بأعلى صوته لسائق البلدوزر:
- توقف.
امتلأ وجه الضابط بالغضب وهو يتحرك في اتجاه الأب قائلا في عنف:
- ماذا تفعل أيها الرجل؟
نظر الأب إلى الضابط وقد مُلئ وجهه بالتحدّي قائلا:
- لا أرتاح لما تفعله أيها الضابط.. فكيف سيزيح هذا البلدوزر الصخرة وهو يدكّ كل ما يسير عليه؟!
صرخ الضابط في وجهه فجأة قائلا:
- أنا لن أنتهي من هذه العائلة المخبولة.. أبعد الابن فيأتي لي الأب.
ثم دفع بيده الأبّ قائلا في عنف:
- هيا أيها الحجّ، دعنا ننتهِ مما نفعله، القصّة لا تستدعي جنونك أنت أيضا.

ثمّ أشار بيده إلى سائق البلدوزر الذي عاود التقدّم و...

- لن أدعك تقتلها.. لن أدعك تقتلها.

عاد البلدوزر يتوقف عندما وقف أمامه محسن بجسده النحيل الضعيف وهو يعاود كلامه صارخا:

- لن أدعك تقتلها.

رقصت شياطين الجنّ والإنس في عيني الضابط عندما شاهد أهل الحي وهم يتحركون واحدًا تلو الآخر ليحيطوا بالصخرة من جميع جوانبها ويحولون بين البلدوزر وبينها والضابط يقول لهم:

- ماذا تفعلون؟ هيّا.. هيّا.. ابتعدوا.

لم يتحرك أحد منهم، ما جعله يصرخ بعنف أكبر ويده تمتدّ إلى سلاحه:

- إذًا تتحدّونني.. تتحدون الشرطة.. ستندمون.

لم يكد يمسك سلاحه حتى وجد يدا قوية تمنعه من إخراجه يقول صاحبها:

- سيّدي.. أعقل.. لا تنسَ ما فعلوه معنا في الثورة.

ارتسم الرعب في عين الضابط ومشاهد الثوار ترتسم في مخيلته.. فعاد يقبض على مسدسه وكأنّه يستمد الحماية منه ويقول بصوت حاول إخراجه ثابتا، إلا أنه خرج مهزوزا خاضعا:

- إذًا ماذا نفعل يا منعم؟

عقد العسكري حاجبيه في تفكير وهو ينقل ببصره بين الدكتور محسن والصخرة ثم قال:

- نعطيهم ما يريدونه.. نزيح تلك الصخرة الكبيرة.. قد.. قد نجدها يا سيّدي..!

ارتفع صوته قائلا:

- أتصدّق هذا المخبول يا منعم؟

عاد منعم ينظر إلى الدكتور محسن الذي عاود احتضان الصخرة يرويها بدموعه ويتكلم معها كأنه يبثّ أشواقه إلى حبيبته أو أنه ينعيها بكلمات صنعت من لهيب عبراته و...

- نعم.. نعم يا سيّدي أصدقه.
قالها ليترك الضابط ويتحرك لقائد البلدوزر يعطيه تعليماته بتحريك الصخرة، الأمر الذي بدأ ينفذه بعدما أشار إليه الضابط بذلك وهو يقول بعلو صوته:
- فرصة واحدة.
ثمّ نظر للجموع التي تحركت بعيدًا عن الصخرة ثم تابع في غضب:
- وأخيرة.
وعادت العيون تتابع بشغف وترقّب ما يحدث.
الزوج الحبيب والأب والأهل والحي بأكمله.
العساكر والضابط، حتى الكلاب المدرّبة، صمتت عن نباحها وهي تترقب معهم ما يحدث.
وبينما قلب محسن يرتجف من كثرة النبض بين أضلعه وهو ينظر إلى تلك الصخرة التي تنزاح ببطء كاشفة عن فجوة أسفلها جعلت قلبه يكاد يتوقف وهو يدعو الله عز وجل أن تكون زوجته بخير.. وبينما تتسع تلك الفجوة مع كل حركة لهذا السقف الأسمنتي الذي أُزيل من فوقها تجعل الأمل يزداد ويزداد في قلوب الجميع.. تحرك فريق البحث إليها ليدلف أحدهم بها وهو يمرّر بكشافه ليزيل الظلام ويكشف أرجاءها والعيون مترقبة خروجه ومعه الزوجة التي آمنوا بما سمعوه من زوجها وذلك الرباط الخفي بين المحبين.
وبعد دقائق، وكأنّها ساعات، خرج أحدهم وهو يمدّ يده ليجذب شخصًا ما جعل قلوب الجميع تتوقّف وهم يرون هذا الشخص المغطّي بأكمله بالتراب وهو هامد الحركة تمامًا.. واقترب الأبّ منهم بعدما تسمّرت قدما محسن بالأرض وهو لا يكاد يرى أحدًا سوى ذلك الجسد الذي خرج من تحت السقف الأسمنتي. والتقت العيون بأكملها على وجه الأبّ وهو يلتفت إلى ولده، وعيناه ممتلئتان بالدمع، بينما يكشف جسده عن جثّة.. جثّة رجل.. رجل من سكان العمارة المنكوبة.. وعلى الرغم من الصراخ الذي علا من خلفه من عائلة المتوفى، قال الضابط لفريقه:

obeikan.com

- هل هناك أحد آخر؟
أجابوه جميعًا بالنفي فعلا صوته وكأنّه يرسل رسالة للجميع:
- هل زوجة هذا الرجل موجودة؟
نظرو إليه وهم يهزّون رءوسهم بالنفي. ووسط استغراب ودهشة الجميع أطلق الضابط ضحكة عصبية وهو يقترب من الدكتور محسن قائلا في تهكّم:
- أين إحساسك يا بطل؟ أين قلبك الذي ينبض بنبضها؟ أين أنفاسك التي تتنفّسها؟ أين الحبّ الذي تدين له بالولاء؟!
ثم التفت في شماتة واضحة لمن حوله قائلا:
- هكذا أنتم يا شعب مصر تحسبون كل شيء بالعاطفة والإحساس الكاذب، وتسيرون وراء أي خائن ومدّعٍ وعميل، بل ووراء المخبولين أيضًا.
صمت وهو ينظر إلى تلك العيون المنكسرة ويدور بعينيه بينها حتى توقفت على عيني محسن.. عينيه اللتين تجمّدتا فوق تلك الفجوة، ثم تابع الضابط:
- أما زلت تسمعها يا دكتور القلوب؟
تحرّكت رقبة محسن في بطء وهي تدور ببصره وكأنّها في فيلم يدار بالحركة البطيئة حتى توقفت على عيني الضابط قبل أن تتحرّك شفتاه قائلا:
- نعم.. أسمعها.. وأشعر بها.
ثمّ أشار إلى تلك الفجوة قائلا بكل ثقة:
- وما زالت حيّة.
عمّ الصمت المكان بأكمله وعينا محسن تتحدّيان الضابط الذي تصاعدت موجة غضب من داخل عقله لتنفجر في كلمة واحدة وجّهها إلى سائق البلدوزر وهو يشير إلى الحفرة:
- دكّها.
ثمّ تابع بكل غضب وشماتة:
- ودك معها كلّ من يعترضك.
وتحرّك البلدوزر في اتجاه الحفرة ليزلزل الأرض من تحته، حتى إن جزءًا من

تلك الفجوة اتسع عندما تهاوى جزء منها. كلّ هذا ومحسن واقف أمام الفجوة لم يتزحزح قيد أنملة. واقترب البلدوزر العملاق منه.. واقترب.. و.. نباح.. ارتفع نباح أحد الكلاب التي تقف بجوار الحفرة بقوّة جعلت السائق يتوقف قبل أمتار قليلة من محسن وهو ينظر إلى الكلب الذي أفلت من يد صاحبه هاجمًا على محسن.

وعلى الرغم من أن الكلب هجم على محسن فإنه لم يتحرك من مكانه وهو يرى تلك الأنياب القادمة في اتجاهه ومرّ بجواره.. مرّ الكلب بجواره ليدلف إلى تلك الفجوة، وما هي إلا لحظات حتى علا صوته بالنباح.. نباح يعرف معناه جيدًا كل فريق البحث.. نباح جعل عيونهم تتسع في دهشة لم يخرجوا منها إلا بعد أن وجدوا محسن يمسك قلبه وعيناه تتسعان في دهشة وقد تجمّد جسده وكأنّه يتلقى شيئًا ما، كانّه يستمع إلى أحد ما يناديه بكلمات صامتة.. كلمات صامتة لكنّها أحيت قلبه وجعلته ينتفض وهو يسرع إلى الفجوة ويدلف إليها ليجد الكلب يقف بجوار باب خشبي مليء بالغبار، لم يستطيع تميزه أحد أو لم يظهر إلا بعد أن سقط ما كان يخفيه تحت ثقل ذلك البلدوزر.

الكلب كان ينبح بقوّة وينبش الباب بأظافره الحادة، وما هي إلا لحظات حتى وجد فريق البحث بجواره وهم يرفعون معه الباب في حذر، بينما العيون خارج الحفرة تترقب حتى ظهر أحد أفراد فريق البحث وهو يشير بيده إلى عربة الإسعاف التي ما إن اقتربت حتى ظهر محسن.. ظهر وهو يحمل بين يديه زوجته حيّة.. زوجته التي كانت تتعلّق برقبته بينما عيناهما تتعانقان وكأنهما يتكلمان مع بعضهما البعض.

والتمعت أعين كل من في الحي بدموع الفرح التي ألهبت عيونهم جميعًا وهم غير مصدّقين ما يرونه، وبخاصة هذا الضابط الذي اتسعت عيناه في دهشة وأُلجمت كلماته داخل فمه، بينما محسن يعبر من أمام عينيه حاملاً زوجته الحبيبة.. زوجته التي شعر بها واستمع لها وآمن بقلبه وحبّه

وإحساسه.. إحساسه الصادق الذي استهان هذا الضابط به وكذّبه لأنّه لم يتعلمه يومًا.. فقط تعلم كيف يدوس على مشاعر الآخرين، دون قلب ينبض أو عقل يفكر، أما الآخرون فكانت لهم لغة القلوب.. تلك اللغة التي كان يتكلمها محسن وزوجته.. تلك اللغة التي لا يعرفها إلا المحبّون فقط.. هم وحدهم من يشعرون بها.. هم وحدهم من يستمعون لها.. لأنها لغة بلا كلمات، أو أن كلماتها بالنسبة لهم هي كلمات صامتة.. وإحساس حقيقي.

obeikan.com

obeikan.com

زواج تيك أواي

obeikan.com

كعادتي اليومية أفتح الفيس بوك بعد أن فتحت عيني بدقائق معدودة من نوم عميق طوال الليل الذي كان أيضًا آخر أعمالي قبله هو الجلوس أمام الفيس بوك على الرغم من التحذيرات الشديدة التي أقرأها عنه كل يوم في الجرائد والمجلات التي أفتحها من خلاله أيضًا، وعلى الرغم من تأكدهم أن الفيس بوك سبب رئيسي للاكتئاب فإني لا أستطيع التوقف، فقد أصبح إدمانًا.
المهم أفتح اليوم لأجد نفسي مضافة إلى صفحة خاصة على الفيس بوك بعنوان «صيدلة الإسكندرية دفعة ٢٠٠٥» وبها نحو ٦٨٠ من خريجي هذه الدفعة، كم كنت سعيدة وأنا أتنقل بين صورة الدفعة وكلمات كل واحد في ذكريات جميلة قد مرت ولم يعد مثلها قط في هذه الحياة.
وبينما أنا أتفقد الصفحة توقفت عند سؤال سألته زميلة تدعى هالة، وهو كالآتي: «يا ريت كل واحد يدخل يقول عمل إيه في حياته من ساعة ما اتخرج ٢٠٠٥ لحد ٢٠١٣، كأنها طريقة نتعرف بها على بعض من أول وجديد».
ماذا سأقول؟! لقد مرت كل هذه الأعوام وأنا كما أنا لم يتغير بي الحال كثيرًا، وكيف هذا وبعد أن كنت من أجمل جميلات الدفعة وكنت مثل الفراشة المنطلقة من زهرة لزهرة، وبالأحرى من نشاط إلى نشاط، فإن أقصى أعمالي اليومية هو متابعة المصروفات على الشباك في مستشفى حكومي بلا زوج أو ولد! يااااه.. يا ترى ماذا كتب الآخرون؟
جلست أقرأ بتمعن إنجازات كل شخص وماذا فعل في حياته، فمنهم من تزوج ويعمل بالخارج، ومنهم ما زال في فترة الخطوبة، والمعظم من الشباب وصلوا إلى مراكز في شركات مصر، أما الفتايات فكانت أقصى إنجازات لهن بأنهن ربات بيوت مع مرتبة الشرف، وفي أحضان كل منهن طفلان على الأقل، وأقصى إنجازات الواحدة منهن مرافقة زوجها في الخارج في دولة عربية.
ظللت أكمل القراءة حتى توقفت عند اسم شخص كنت بداخلي أبحث عنه منذ زمن حتى وجدته.. إنه علاء.. نعم، حبيبي القديم الذي لم يصرح أي أحد منا بحبه للآخر طوال الخمس سنوات، وكنا نكتفي بالتعبير عن الحب

obeikan.com

بالنظارات، وكنا كلما التقينا نتحدث طويلاً عن أي شيء وكل شيء ونتوقف قبل أن تظهر أشواقنا ونعترف بحبنا لبعض! نعم وجدته وتلهفت أقرأ ماذا كتب، ولكنه بقي غامضًا كما هو، ولم يكتب شيئًا عن حياته العائلية كالباقين، واكتفى بأن كتب عن عمله فقط، فأسرعت بالضغط على اسمه لأفتح وأجد بأني بالخطاء ضغطت على طلب صداقة منه! ما هذا الذي فعلت؟! وكيف هذا؟! ياااه.. ماذا أفعل؟ ماذا سيقول عني؟ وفي أثناء حالة الهلع التي انتابتني وجدت علامة وجود محادثة تضيء أمامي.. من يكون الذي يكتب لي الآن؟

- فعلتِ ما تمنيت أن أفعل، ولكنك كنتِ أجرأ مني كعادتك

يااااه إنه هو، لقد قبل طلب الصداقة، ويكتب لي أيضًا.. ماذا أفعل؟ وماذا أقول؟ هل أخبره أنه كان خطأ غير مقصود؟ أم ماذا؟ ولكن هذا سيجعل الأمر أسوأ، لأنه سوف يعرف أني كنت أشاهد «بروفايله».. ولكن أكيد كنت أفعل وأكيد هو فعل، أليس لهذا صُنع الفيس بوك؟ ممممم.. نعم سوف أكتب. ممممم.. وهو سوف يفهم.. لا لا سوف أكتب: هههههه.. إن الأيام لم تغيرني. نعم هذه أفضل بكثير، وفعلا كتبتها.

- ياه.. فعلاً ولا أنا.. أنا زي ما أنا من آخر مرة شوفتك فيها.. اللي اختلف فيا هو خفة الشعر من كثرة شده في العمل، فأنا لم أتزوج بعد. ويا ترى إنتي اتجوزتي؟

توقفت لحظة صمت بعد هذا السؤال، فلا أعرف ماذا أقول من هول الموقف؛ لأنى لو قلت لا هل هذا سيعني أني لم أعجب أحدًا أم بسبب عيب بي مثلا، أو أقول له إني كنت مخطوبة أكثر من مرة ولكن لم يكن هناك نصيب. دارت إجابات كثيرة برأسي، ولكن لم أستقر على إجابة منها.. وبينما أنا أفكر أكمل هو كتابته.

- أنا آسف إني سألت كده، بس افتكرت إن إحنا زي أيام الكلية لما كان مفيش حاجز بيننا في الكلام، علشان كده أنا سألت، بس لو حاضايقك أنا باسحبه.

وجدت نفسي وجب علي الرد:

- لا أبدًا أنا ما اتضايقتش من السؤال، أنا أختي الصغيرة كانت بتكلمني بس.. الإجابة بسيطة ما حصلش نصيب.. عادي يعني.
- طيب كويس.
- إيه ده هو انت فرحان فيا ولا إيه؟
- ههههه لا أبدًا بس الكلام معاكي رجعني لأيام الكلية تاني.. كانت أيام حلوة.
- فعلاً.. والأيام جريت ورجعنا اتقابلنا تاني بعد السنين دي كلها.
- كلام الشات ده ما يعتبرش مقابلة، أنا راجع مصر بعد أسبوع، ممكن لما آجي أقابلك؟
ماذا؟! تقابلني؟! ما هذا السؤال؟!
- مممم.. مش عارفة.. أصل أنا عندي مؤتمر تبع الشغل حابقى مشغولة.
- بصي، لسة بدري، لما يقرب الوقت نبقى نتفق.. أنا عن نفسي سعيد جدًّا بكلامنا تاني مع بعض، ده عندي لوحده حاجة عظيمة.
- هو انت بتشتغل إيه صحيح؟
- أنا دلوقتي team leader في شركة «جونسون» خط جديد لمنتجات بتستخدم في عمليات التجميل.
- عمليات التجميل؟ أنا أول مرة أعرف أن «جونسون» شغالة في حاجة تانية غير منتجات الأطفال.. وأنهي عمليات تجميل؟
- ليه؟ محتاجة واحدة ولا إيه؟
- ليه يعني.. إنت عارف مفيش مني اتنين في الدنيا.. لول.
- هههههه لا ما انا عارف.. هو في زيك.
- طيب أنا لازم أروح علشان ورايا شغل كتير علشان المؤتمر.
- يااه.. إنتي كده تبقي اتغيرتي، لأنك لو لسة زي زمان يبقى أكيد حتسبيني علشان ترجعي تقري في صفحة الدفعة، بس ما دام قولتي رايحة تشتغلي يبقى كده إنتي بقيتي مسئولة عن الأول كتيير.
- طبعا مسئولة وناجحة كمان.. وصفحة إيه.. هو أنا فاضية للكلام الفاضي

ده؟ أنا بس دخلت آخذ بصة سريعة وكنت حاقفل على طول.
- طيب خلاص مصدقك والله أنا مش قصدي أضايقك.
- عمومًا سلام.
- ماشي.. بس لو ممكن أبقى أكلمك تاني.
- آه ماشي مش مشكلة، إبقى اكتب وانا لو موجودة حابقى أرد.
- خلاص ماشي.. سلام.
- سلام.

ما زال يعرفني جيدًا.. كما كان في السابق، فأنا فعلاً جلست لمدة ساعة أخرى أقرأ في إنجازات الدفعة، فبعد كل هذه السنين كان لدي من الفضول ما يجعلني أجلس بعض الوقت لقراءة الإنجازات العظيمة.. ومن أعجب ما قرأت أني وجدت أحدهم من الدفعة الذي أكاد لا أذكر سوى شكله، قد أصبح مشهورًا، فهو ملحن معروف، فلقد غنى له عمرو دياب وآخرون من الفنانين الموجودين هذه الأيام.. وأنا كنت كما أنا في مستشفى الحكومة، ولولا أن الصيدلية الأولى الموجودة في المستشفى في إجازة ما كنت سأكون في موقع المسئول عن هذا المؤتمر، وربما أيضًا كنت سأكون بلا وجود فيه أصلاً.. المهم بقيت باقي الليل أحاول كتابة الكلمة التي سوف ألقيها باسم صيادلة المستشفى في المؤتمر.. وطبعًا قبل أن أنام يجب كعادتي أن أتمم على الفيس بوك، كأني أتأكد أن أصدقائي ناموا.. فتحت لأجد علاء ما زال موجودًا ويكتب لي:

- يااااه، كل كلامك في صفحتك عن السياسة؟ وإيه بس التعليقات النارية اللي كاتباها عن الأخبار دي؟! أنا ما كنتش متخيل إنك متابعة السياسة جامد كده.

وأكمل بعدها:

- وإيه الصور الجامدة دي؟ بس انتي ما اتغيرتيش فعلاً عن أيام الكلية، إنتي بقيتي واحدة تانية أحلى وأذكى بكتير عن أيام الكلية.. هههه مش قصدي

حاجة بس انتي أحسن كتير من زمان.
وظل طوال الليل يعلق على كل ما كتبت على صفحتي من يوم إنشائها حتى يومنا هذا.. لم يكن لي تفسير واضح عما يفعله أو عن نياته الحقيقية وراء كل ما يفعله في هذه الليلة.
وفي اليوم التالي كتبت له:
- إنت سهرت طول الليل في صفحتي؟ أنا ما كنتش أعرف إنها مسلية أوي كده.
- صباح الخير الأول.
- صباح النور.. إنت إيه قاعد فوق النت؟ وهو انت نمت أصلاً؟
- ههههه.. الصراحة صفحتك ممتعة، أنا كنت عايز أتعرف عليكي من تاني بس ما كنتش متوقع إني حاستمتع كده.. آرائك في كل حاجة عجبتني وحسيت إن دماغك عالية أوي.
بقينا هكذا طوال اليوم في حوار مفتوح لا ينتهي.. الحقيقة بقينا هكذا طوال الأسبوع بين مشادات وكلام حنون، وأيضًا ساعدني في كتابة الكلمة، فكانت أفكاره مميزة كعادته.. ومر الأسبوع ووصل الإسكندرية، طبعًا فكرت أن أقابله وجهًا لوجه وكانت فكرة صعبة جدًّا، ولذلك قررت أن تكون المقابلة الأولى في المؤتمر، لأني أكيد سوف أرتدي ملابس أنيقة، لأن بعد المؤتمر سوف يكون هناك حفل مفتوح، وأيضًا في إلقائي الكلمة سوف أبدو كالمرأة العظيمة الناجحة. وفعلا دعوته ووافق على الدعوة.
يوم الحفل كان يومًا رائعًا، ظللت أبحث عنه كي أراه، فلقد كنت في قمة أناقتي.. وظللت أبحث حتى جاء وقت الكلمة التي سوف ألقيها، وبدأوا النداء علي، فوقفت وصعدت إلى المنصة، وما إن بدأت أتحدث حتى رأيته يدخل القاعة بصحبة سيدة أنيقة جدًّا لم أرها من قبل وهو لم يذكر لي أنه سوف يأتي معه أحد.. طبعًا هذا المشهد أسكت الحروف في حلقي فوقفت للحظة لا أعلم ما سأقول، ظللت هكذا حتى نظرت إلي إحدى زميلاتي نظرة

obeikan.com

ثاقبة حتى أفيق مما أنا فيه، وفعلاً تداركت الموقف وعدت للكلمة التي أكملتها كأني أخطب في رئاسة الجمهورية، وصفق لي الحضور بحرارة.. وبعد أن انتهيت عدت إلى مكاني كأني لم أره.. وبعد أن انتهى المؤتمر وبدأ الحفل حتى وجدته يقترب إلي هو والسيدة التي معه، وأنا استقبلتهما بابتسامة عريضة محاولة أن أخفي بها استغرابي عن من معه، وتقريبًا لاحظ هذه الابتسامة التي أصبحت مريبة، فقال:

- علياء.. أعرفك بأختي سمية.

- أختك؟ آه طبعًا أهلاً وسهلاً، سعيدة إني قابلتك.

طبعا كان موقف محرجًا لأن السعادة كانت عارمة لما عرفت أنها أخته الكبيرة اللي غابت تمامًا عن بالي، ولكن كانت أسعد لحظة لأني كنت للحظة شككت أنها قد تكون خطيبته.. على الرغم من أنها تكبره قليلًا، لكن كل حاجة ممكنة في هذا الزمن. قالت لي سمية:

- أنا علاء كلمني عنك كتير، بس طلع مش بيعرف يوصف خالص، لأنك في الحقيقة أحلى كتير.

- هههه شكرًا لذوقك.

- طيب إحنا حابين نزوركم في البيت.. إمتى يكون الوقت المناسب؟

على الرغم من أني كنت متوقعة أن هذا ما سيحدث بعدما قال إن أخته معه، ولكن ما زال هول الموقف لا يقاوم. قلت:

- آه طبعًا أهلاً وسهلاً تنورونا أي وقت.

قالت سمية وعلاء في نفس واحد:

- خلاص يوم الخميس الساعة ٦.

طبعًا صوتهما معًا كان عاليًا جعل الجميع يلاحظون ويصمتون ووجهوا النظر إلينا فوجدت نفسي أرفع صوتي:

- خمسة.. خلوها خمسة أحسن.

ضحك الاثنان، فقد فهما أني أخاف من الحسد. المهم بقينا حتى آخر الحفل

obeikan.com

نتحدث ونتعرف أكثر على بعض.. أخته كانت خبيثة بعض الشيء في أسئلتها، لكن كله يتفوّت علشان الجوازة تمشي.

- لوووووووووووووووولي.

وخلصت الخطوبة في غمضة عين.. خطوبة عبارة عن أهله وأهلي ودمتم، من غير أقارب ولا أصدقاء، ويا ترى ما السبب؟ ببساطة لأنه لزم عليه العودة لعمله بأقصى سرعة.. طبعًا قائد فريق فلا بد أن يقود فريقه بسرعة فائقة، وهذا ما كان قد أعجبني به، في أول مرة عندما قالها لي شعرت حينها أنه محب لعمله ومتفانٍ فيه، ولكني أعود لأفكر.. كل هذا الركض وراء فريقه وهم كل عملهم كمندوبي دعاية؟! ماذا لو كانوا فريق كرة؟ ماذا كان سيفعل؟! المهم أمي أقنعتني أن هذا كله فائدة لي، فهذا يعني أنه سيجني المال لكي أحيا حياة رغد، فاقتنعت وقررت أن أبدأ في حياتي الجديدة كمخطوبة، وأن أبدأ وأعيش حياة المخطوبين، ولكن آه قد نسيت، فقد سافر الخطيب، ولكن هل حقًا سأجعل هذا يدخل في حياتي ويعكر مزاجي؟ مممممممم.. لا لن تدخل هذه المشكلة في حياتي وسأستمتع بكل لحظة كمخطوبة من الآن.

وفعلا نشرت الخبر بين كل صديقاتي، وزميلاتي، وكل الجيران في الحي، ولكن لخوفي من الحسد لم أنشر صورًا لنا على مقر حبنا «جروب الدفعة» ولا حتى على صفحتي على الفيس بوك، واكتفيت بإعلان الخبر.

طبعًا من أساسيات فكرة الخطوبة هو إعطاء فرصة للمخطوبين في التحدث مع بعضهما لإتاحة الفرصة للتعارف والتقارب أكثر، وهذا ما حدث بالفعل، فكان هناك تقارب عبر الـ«سكاي بي»، وتحدث عن الأثاث ونوعه.. طبعًا أنا بمجرد وقوع الحدث التاريخي وهو الخطوبة بدأت في شراء جميع مجلات الأثاث ومجلات فساتين الأفراح الموجودة في كل المكتبات ومع البائعين الجائلين.. طبعًا لأن مستواي الاجتماعي لا يسمح بأقل من شقة كاملة من مجاميعه.. حتى لو كانت الشقة في حتة مش قد كده مش مهم، المهم إن لما أصحابي وأقربائي يزوروني يجدوا إن كله تمام.

المهم اكتملت الشقة العظيمة وتم الفرش وكل شيء وفي انتظار الخطيب المبجل حتى يأتي في إجازة سريعة قصيرة لكي نكتب الكتاب ونعلي الجواب ونتم الفرحة بحفل زفاف عظيم يليق بالفستان الأبيض الموجود في مخيلتي.. وطبعًا قبل الفرح بيكون كتب الكتاب، الذي كانت فكرته بسيطة، عبارة عن توزيع المِلَبِّس وشيخ بعمة وحاجة ساقعة ونبقى تمام.. والعريس اللطيف بسبب ضيق وقته في الإجازات وبدعوى إنه يحتفظ بإجازاته للفرح قرر إنه حينزل من الطيارة على القاعة اللي في الجامع.

ومن أجمل ما قاله لي:

- ما تدوريش عليا، أول ما تقعدي جنب الشيخ حتلاقيني في النص بينك وبينه.

وفعلاً حضرت الفستان وجلست عند الكوافير أتحضر بالمكياج وأنا أفكر في كل لحظة.. هل أمضي في هذه الزيجة أم لا.. وإذ بي أجد رسالة نصية تخبط على باب موبايلي.. إيه ده رسالة من خطيبي حبيبي؟ أكيد لم يستطع أن لا يحادثني قبل اللقاء، أكيد وحشته.. «أنا مش حاقدر أنزل دلوقتي، عندي شغل كتير، علشان كده أنا عملت توكيل لصاحبي أحمد علشان تكتبوا الكتاب».. لم أتمالك نفسي بعد هذه الرسالة، وبدأت الجينات الوراثية تتضارب بداخلي، جينات عِرْق الشراشيح وجينات الأرستقراط.. بس الحمد الله الأرستقراط هي اللي فازت، وسكت للحظة وفتحت التليفون وكلمت والدي وأخبرته بمحتوى الرسالة..

الحقيقة كان والدي حكيما جدًّا فاتصل على الفور بوالد علاء وانتهى الحوار على إن مفيش مشكلة، ومنعًا للقيل والقال فإنهم مش حيقولوا حاجة والإجراءات تمشي عادي كأنهم من الأصل متفقين على كده.. ودخل القاعة المدعو أحمد الذي لم يعرفه أحد في القاعة غير والد علاء فاحتضنه وتمت الزيجة ولم يلحظ أحد الفارق، فهم أصلا لم يروا علاء، حتى صديقاتي اللاتي حضرن لسن من الدفعة أصلاً. وانتهى الحفل على خير.

obeikan.com

طبعًا لا ينفع أن يمر الموضوع بسلام.. وبعد تأسفات ومعلش وحقك عليا، وقف الموضوع أن الفرح حيكون حاجة من الخيال.. وإذ بي أجد نفسي في كوشة وحدي لأن العريس مش جاي لتوفير المصاريف لشهر العسل، وطبعًا عقلاء العيلة قالوا ومالوا مفيهاش حاجة عادي بتحصل في أحسن العائلات.. المهم أني لبست الفستان ورحت القاعة مع نفسي ورقصت بنفسي واتصورت مع نفسي، والأسرة الكريمة والأصدقاء جالسون يشاهدون جنوني الذي لم يتوقع ارتفاعه هذه الليلة إلى هذا الحد.. ولِمَ لا أحتفل بنفسي فإنها ليلة العمر تحدث في العصر القديم مرة واحدة وفي العصر الحديث أكثر من مرة.. عادي.

خلص الفرح وأخذت حقيبتي بفستاني إلى المطار مسافرة إلى دبي.. وتقريبًا هي كانت السبب الرئيسي في إكمال هذا الزواج على الرغم من غياب الزوج والإخلال بكل قوانين الطبيعة في أشكال الزواج الطبيعية.. ولكن كله يهون من أجل العزيزة دبي.

احتفل طاقم الطائرة بي، ولِمَ لا وأنا أبدو كالعروسة الحلاوة.. وقرروا إهدائي مقعد «فيرست كلاس»، ده غير التورتة اللي كانت هدية لي.. ولكن كل هذا لم يداو «بريستيجي» اللي تبعثر مني في فرح لوحدي ومنظري اللي لم يكن قد كده وانا قاعدة زي الغلبانة في الكوشة بفستاني.. إسمًا عروسة.. قضيت نصف الرحلة آكل من أكل الـ«فيرست كلاس» لعلي أنسى ما أنا فيه.

نزلت من الطائرة وكان في المطار الكل متتبعني، ومنهم من كان يبدو سعيدًا ومنهم من يبتسم في سخرية.. لم يكن هذا كله يفرق معي، فإن جلستي في الطائرة «فيرست كلاس» جعلت بداخلي حالة من اللامبالاة لكل هذه المهاتارات.. ولقد أفادني هذا الفستان كثيرًا فجعلت كل من بالمطار يركض ورائي رغبة في مساعدتي حتى وصلت إلى باب المطار، وإذ بي أخيرًا أجده واقفًا هناك يتلفت يمينًا ويسارًا باحثًا عني.. إنه زوجي العزيز.. لم أتمالك نفسي من البكاء حين قابلته لأني كنت متأكدة أني سوف أجد نفسي أمام خدعة أخرى

بحجة أخرى. قال لي:
- وحشتيني يا حبيبتي.
- وانت كمان وحشتني.. ينفع كل حاجة أعملها لوحدي مش ألاقيك جنبي؟
- معلش يا حبيبتي ما تزعليش.. أنا من هنا ورايح ملكك.. ملكك لوحدك.
غادرنا المطار وأنا بجواره في السيارة، وأخذنا نتحدث عن كل ما فاته من أحداث، وعن شكل الفرح، وأخذنا نتحدث ونتحدث حتى تعب الكلام منا، وإذ بي أجد نفسي في سيارة لمدة ٣ ساعات حتى نصل في النهاية إلى شقة صغيرة في الدور الأرضي تشبة البدروم.. أول ما جاء بذهني أن هذا بسبب غلاء المعيشة في دبي فلذلك الشقق صغيرة. قلت:
- هو يا حبيبي انت مبهدل الدنيا كده ليه؟!
- يا حبيبتي واحنا حنحتاج إيه أكتر من كده؟ وبعدين لما ييجي النونو الصغير نبقى نروح شقة أكبر، يعني يا حبيبتي كلها تسع تشهر ولا حاجة.
- إنت مستعجل على بوظان جسمي ليه؟
- أبدًا يا حبيبتي، أنا علشان مش عايزك تزهقي هنا بس، فالأطفال بتسليكي.
- لا تقلق عليا فأنا أكيد حنزل أكتشف البلد، ممكن تبقى بس تقول لي العنوان علشان أبقى أشوف على النت شكل البلد وإيه اللي حوالينا.. وكده يعني.
- طبعًا يا روحي، ولما أبقى أرجع من الشغل حابقى أفسحك أكيد.
- هو أنت واخد كام يوم أجازة؟ وحنقضيهم فين؟
- أجازة؟! أنا مش واخد ولا يوم أجازة.. أنا عندي شغل بكرة.. نبقى نسافر على الصيف إن شاء الله.
طبعًا من ذهولي لم أتحدث.. سكت لأنه إذا كان هو لم يفكر في شهر عسل فلماذا أفكر أنا، وبعدين مين حيحس هنا أنا رحت فين أو جيت منين؟ ولو على أصحابي لو قلت لهم حبة معلومات عن ماليزيا حيصدقوا على طول إني كنت هناك، ولو على الصور ممكن أقول إن الكاميرا اتسرقت أو ضاعت

مثلا، أو الأحسن أقول إني نسيتها في الفندق الخمس نجوم اللي كنت نازلة فيه، وهما ما حدش هيعترض، وعلى الفيس أحط صورة اثنين من ظهرهم وأقول إني دي أنا وعلاء في شهر العسل، والكل حيعمل «لايك» و«هابي فيس» كمان.. كنت سعيدة بوجودي في دبي.. فدبي نفسها مكان يذهب إليه الناس لشهر عسل.

مرت الأيام وأوفى بعهده في أن يجعلني نتجول تقريبًا يوميًّا في البلد، خصوصًا أني لن أقدر على أن أفعل هذه الجولات وحدي، لأني اكتشفت أننا نسكن بعيدًا عن دبي بساعتين في بلده اسمها الشارقة.

مرت أيام وأسابيع وبُخل زوجي العزيز لا يستطيع أن ينكره أحد.. هو يقول إنه حرص، وأنا أسميه بخلاً.. وتمسكه بشغله غير المبرر اكتشفت أنها سمة كل من أراد البقاء في دبي، فمن يريدون العمل هناك كثر، وبالتالي الحفاظ على عمل يتطلب الجهد الكثير.

طبعًا علاء لم يكن متوقعًا أن تكون طلباتي كتير كده.. على رأيه، كل شوية «هات هات»، فقرر من باب أن يرحم نفسه من طلباتي التي لا تنتهي ومن تكاليف الولادة التي هي أيضًا غالية،، لذا قرر أن أعود إلى مصر.. ببساطة كده وبكل هدوء.. لما سمعت منه هذه الفكرة التي كنت أظن أنها مجرد اقتراح للمناقشة فوجئت أنه بالفعل أمرًا واقعًا، وليس هذا فقط، بل وقد حجز التذاكر.. طبعًا أنا هذه المرة قررت أني لن أسكت، لأن ببساطة كده أنا مش متجوزة علشان اللقب، أنا لي مكانة اجتماعية لا أستطيع أن أتنازل عنها، مش كفاية إن لا أحد فعليًّا يعرف شكل علاء، حتى اللي كان معانا في الدفعة لا يذكره.. ده غير الفترة اللي حجز لي فيها التذكرة مليانة أفراح وحفلات أعياد الميلاد وكل دول بمجرد نزولي مصر لازم أحضر كل دول.

- علاء الكلام اللي انت بتقوله ده ما ينفعش.. يا تنزل معايا يا إما مش حانزل.

- مين حينزل مع مين؟ إنتي بتهزري؟! الفترة اللي جاية دي فترة حساسة جدًّا في الشغل وفيها حركة ترقيات، وبعدين أنا مسفرك علشان الفترة دي مش

حابقى فاضي أفسح حد.. فأنا عامل ده كله علشانك.
- أنا ما كنتش أعرف إن دمك خفيف كده.. ممكن تقول لي الأفراح اللي ورايا إزاي حاحضرها لوحدي؟ منظري حيكون زبالة وكل واحدة ساحبة معاها جوزها وانا ماشية لوحدي كده.
- خدي مامتك معاكي.
- باقول لك كل صحابي حيكونوا ماشيين مع اجوازهم أقوم أنا رايحة بماما وانا حامل وراكبة تاكسي ساعتها يقولوا عليا إيه ساعتها الناس.
- يعني عايزة إيه دلوقتي.. ما أنا سفر مش مسافر ماشي.. أقول لك حاجة كويسة.. أنا ممكن أخلي صاحبي أحمد يوديكي مطرح ما انتي عايزة ماشي؟
- إزاي بس.
- ملكيش دعوة إنتي أنا حاكلمه يشتغل عندك شوفير.. أحمد صاحبي وما حيصدق يخدم، أصلي ليا جمايل عليه كتير.. واطلبي منه اللي انتي عايزاه كأنه أنا.
وافقت وانا مش فاهمة حاجة خالص.. إزاي أطلب منه اللي أنا عايزاه لمجرد إن زوجي له عليه جمايل.. عموما النتيجة اللي وصلت لها إني مسافرة يعني مسافرة.
بدأت أحضر للرجوع إلى مصر ومن ضمن التحضيرات هي إني كتبت على الفيس بوك بالبونط العريض أني قادمة، وأخبرت الجميع من أصدقائي بميعاد وصولي على أمل أن أجدهم جميعًا هناك، والحقيقة لم يخذلوني، ووجدتهم فعلا هناك في المطار، وكان معهم أحمد صديق علاء، ولكن كان منتظرًا داخل قاعة الوصول، علشان يشيل عني الشنط لأني في أواخر شهور الحمل وزوجي العزيز قال يعني خايف عليا.
وصلنا البيت وبابا مسك في أحمد وكل أصحابي على العشاء، وأحمد قعد بعديهم كمان ساعة علشان يأخذ الحاجات اللي كان طلبها من علاء يبعتها له.. ونزل أحمد مع وعد إن كل تنقلاتي عليه، وإلا حيزعل، لأن علاء جمايله

كتيرة عليه.
الصراحة استسهلت وجود أحمد، وفعلاً تقريبًا كل مشوار محتاجة فيه لعربية كان أحمد فيه.. وكمحاولة مني أن أرد له الجمايل بدأت أعزمه يوصلني وانا خارجة مع صاحباتي لعله يجد نصفه الآخر فيهن.
بعد الولادة قررت أن أذهب لأسكن في منزلي المتواضع، يعني حاجة كده لزوم الاستقلال، وعلشان بنوتتي الصغيرة تعرف أن إحنا لينا بيت على الرغم من عمرها بضعة أشهر.. والحقيقة إن السبب التاني والخفي هو إني تعبت من اعتراضات بابا المستمرة على نزولي مع أحمد، على الرغم من إن ردي عليه كان دايمًا واحد: «إذا كان جوزي هو اللي جايبه، يبقى أعترض ازاي؟ إنت عايزني أكسر كلام جوزي؟»، وبعدها أسمع نفس الرد: «جوزك ده حمار ومش عارف حاجة».
اليوم فرح إحدى صديقاتي العزيزات، وطبعًا مين حيوصلني غير أحمد؟ وصلت الفرح وانا بانزل من العربية وجدت والدة العروس على باب القاعة.
قلت لها:
- طنط.. ألف مبروك.
- الله يبارك فيكي.. إيه ده؟ هو رايح فين؟! لازم يدخل.
- أصل ده مش.
وقاطعتني:
- مش معزوم ولا إيه؟ وحتى لو مفيش أماكن.. لا عيب أوي يوصل لحد هنا وما يدخلش.. ناديه بسرعة أحسن ازعل
- أحمد.. تعالى.
قالت:
- أيوه كده.. وحاعمل له مفاجأة علشان ما يزعلش.
استغربت كلامها، إيه ممكن تكون المفاجأة، وعلى إيه المفاجأة الموضوع بسيط.. وبدأت مراسم الحفل وكانت العروس جميلة جدًا.. وفجأة تصعد

والدة العروس على المنصة ممسكة بالميكروفون وتعلن الآتي:
- النهارده تشرفنا بحضور صديقة بنتي علياء هي وزوجها، فأنا عايزة أهدي لهم الأغنية الهادية اللي جاية دي اللي أنا عارفة إنها بتحبها، وكان نفسها ترقص عليها في فرحها، بس الظروف لم تسمح.. لكن النهارده فرح بنتي وعلياء واحد.

إيه؟! مين؟! فين؟! نعم؟! زوج؟! زوج.. زوج مين؟! أحمد لم يفهم، وأخذ الموضوع على أنه عن حد تاني حتى وجدني أمسك بيده وأشده إلى المنصة للرقص معه. قال:
- إيه اللي بيحصل؟ أنا مش فاهم حاجة، وبعدين هما قالوا علياء وجوزها يعني مش احنا.
- أصل أنا علياء لو انت نسيت، وهما نظرًا لإنهم فعليا محدش شاف علاء ففاكرينك انت جوزي.. معلش إحنا نهاودهم لحد ما الفرح يعدي.. ما هو مش معقولة أحرج الست في وسط الفرح بالحقيقة المُرة.
- طيب ماشي.. ربنا يستر.

رقصنا وبعد أن انتهت الأغنية هربنا من الفرح على طول قبل ما نتدبس في حاجة تانية. قال لي أحمد ونحن في السيارة:
- علياء أنا لحد دلوقتي مش مصدق اللي حصل.. إزاي كده؟!
- معلش في أول فرصة حاوضح لهم اللَّبس اللي حصل.

سكت أحمد وهو ما زال في صدمة.

في اليوم التالي تلقيت ما لا يقل عن عشرين مكالمة من كل من حضر الحفل ليعبروا عن سعادتهم بما شاهدوه في الحفل ليلة أمس، وأنا بهدوء وسعادة أشكر الجميع، ولم أعبر عن أي اعتراض ولم أفكر حتى في التوضيح لأحد.. فبعد تفكير عميق لن يحدث مثل هذا الحدث مرة ثانية على ما أظن، وبعدين مين يعني حيكون حفظ أحمد وشكله.. أنا متأكدة الموضوع حيعدي هو مين يفتكر إسمه أساسًا.

طبعًا أحمد بعد تلك الواقعة حاول أن يخف ظهوره معي، لكنه في الحقيقة لم يفصح عن اعتراضه في توصيلي لأي مكان.. لكن أنا عن نفسي كانت قد أعجبتني الفكرة وبقيت أقبل كل الدعوات التي جاءتني لحضور أفراح أصدقائي، ولكن ده كله بعد ما تفاهمت مع أحمد ووافق إنه يصحبني إلى تلك الأفراح كأنه علاء.. لكن طبعًا ده لم يكن ببلاش، فالموضوع بدا أنه سيأخذها فرصة للبحث عن عروس، وبعد كده بقت الموافقة بفلوس.. كله يهون علشان مركزي الاجتماعي، وكل ده سينسى مع الوقت، خصوصًا لما أحمد لازم في كل فرح يهرب من الكاميرا.. ممنوع منعًا باتًا إنه يتصور.. لا فيديو ولا فوتوغرافيا.. ده حتى ساعات يتحجج بأنه هو اللي بيصور.

بعد مرور بضعة شهور على سفري من الإمارات، زوجي العزيز أخيرًا اقترب ميعاد إجازته، والحمد الله قرر أنه يأخذ إجازته ولن يتنازل عنها.. والحمد الله أن نزوله تزامن مع انتهاء موسم الأفراح.

ومع اقتراب رجوع زوجي العزيز.. زاد خروجي مع أحمد لتوضيب منزل الزوجية لاستقباله ولإحضار ما لزم من أكل وبعض الديكورات السريعة والرخيصة، يعني قلت أروّش البيت شوية.

فاضل يومين على وصول علاء البيت وأنا في قمة سعادتي لم أتوقع أني سأكون سعيدة كده، بس هو فعلاً وحشني.. وجود الزوج بردو، حتى لو جِلدة، بيعمل جو في الأسرة بردو.

النهارده آخر خروجة مع أحمد علشان هاروح أجيب علاء، وهي فرصة علشان أحمد يبدأ يعيش حياته ويدور له على عروسة.

قال لي البواب:

- يا مدام.

- أيوه يا سيد فيه حاجة؟

- آه.. جه لحضرتك النهارده مُحضر ومعاه الجواب ده، وطلع لكم وما لقاش حد، فاستلمت مكانكم أنا الجواب.

- ازاي ما لقاش حد؟ أنا فوق من الصبح ما نزلتش!
المهم أخذت الجواب ووجدته طلب استدعاء لعلاء في النيابة.. لم أفهم أي شيء وحتى لما سألت البواب لم يكن عنده كلام أكثر من اللي قاله.. فصمت وبدأ خيالي يسرح في مشاكل الدنيا.. لعله يكون متزوج زوجة تانية وطالبة نفقة مثلاً.. لم أعد أعلم بالضبط ماذا يكون السبب.
وصلنا المطار وخرج كل من بالطائرة إلا علاء الذي فجأة وجدناه خارجًا مع أمن المطار ويتم تسليمه للبوليس لأخذه على القسم.. ركضت خلفه كالمجنونة. سألت في فزع:
- فيه إيه يا علاء؟ إيه اللي حصل؟!
- مش عارف يا علياء.. شوفي لي أي محامي يحضر معايا.. أرجوكي بسرعة.
ركضنا أنا وأحمد بسرعة إلى محام يعرفه أحمد وطلبنا منه يفهم لنا ما يحدث. وبعد ساعات رجع المحامي من القسم من دون معلومات مفيدة سوى أن علاء مطلوب في قضية قتل شاب بسيارته. حاولنا أن نفهم المحامي أن علاء لم يدخل مصر منذ أكثر من سنة، ولكن المحامي ظل يقول إن القضية تم الحكم فيها فعلاً لأنه لم يحضر إلى المحكمة.. وحينها تذكرت ورقة الاستدعاء التي لم تصل سوى صباح اليوم.. فأخذها المحامي على أمل أن يستطيع إعادة فتح التحقيق وفهم ملابساته في اليوم التالي.
ظل علاء مسجونًا أربعة أيام حتى استطاع المحامي إعادة فتح التحقيق في القضية وعرض علاء مرة أخرى على الشهود. قال الشاهد لوكيل النيابة:
- أنا عارفه يا بيه.. هو جوز مدام عليا اللي ساكنة في العمارة اللي جنبنا، وحتى بالأمارة عربيتهم لانوس فضي.
سأله وكيل النيابة:
- يعني لو شوفته حتعرفه.
- آه طبعًا يا بيه.
- نادي على المتهم.

دخل علاء.. قال الشاهد:
- لا يا بيه مش هو ده، التاني كان أسمر عن ده وأطول.
- أستاذ علاء.. ما دام الشاهد ما عرفكش وطبقًا للتحريات اكتشفنا إنك فعلاً ما دخلتش البلد خلال الفترة اللي حصلت فيها الحادثة.. لكن في نفس الوقت الحادثة فعلاً حصلت بعربيتك، تقدر تقول لنا مين بيخرج مع مراتك واستعمل عربيتك في الفترة اللي حصلت فيها الحادثة؟
- أنا ما اعرفش غير أن صديقي أحمد دسوقي هو اللي كان بيساعد مراتي خلال الفترة اللي كنت مسافر فيها.. بس ما اعرفش غير كده.
- نستدعي كلا من مدام علياء المنفلوطي والأستاذ أحمد دسوقي.
وفي اليوم التالي ذهبنا للإدلاء بالشهادة بعد ليلة من النظرات من زوجي.. الذي عانى من ساعة وصوله مصر من دون معرفة مين السبب. سألني وكيل النيابة:
- مدام علياء هل قُدْتِ السيارة المذكورة في المحضر خلال الفترة اللي فاتت؟
- لا يا فندم أنا مش باعرف أسوق أصلاً.
- مين كان معاه العربية طول الفترة محل الخلاف؟
- مفيش غير الأستاذ أحمد دسوقي، هو كان يوصلني لأي مكان وياخد العربية عنده تركن تحت بيته.
وظلت النيابة تسأل وأنا أجيب حتى جاء دور أحمد.. وكانت المفاجأة أنه كان فعلاً أحمد هو الذي دهس الشاب بالعربية في مرة من المرات بعد ما وصلني وهرب معتقدًا أن لن يلحقه أحد، خصوصًا أنها لم تكن عربيته ولم يكن أحد يعلم حقيقة شخصيته، لأن من كثرة خروجنا معًا كان الجميع مقتنعين أنه زوجي علاء.
طبعًا بعد كل هذه الأحداث انتهت معرفتنا بأحمد الذي كان نعم العون لي في الفترة الماضية، لكن للأسف بسبب غبائه جعل النهاية محزنة لنا وله، لأن بسبب هروبه أخذ سنة حبس بدل ست شهور مع وقف التنفيذ، اللي

كان سيأخذها لو كان فضل مكانه جنب المجني عليه.. كنت نهاية محزنة والفترة الأصعب هي كانت في إعادة لم أسرتنا اللي علاء قرر إنها تتكسر أحسن.. فعليًا كان معه حق، فأنا استطعت أن أعيش من دونه مدة سنة ونصف، وكمان عرفت أستبدله بزوج آخر حتى لو بشكل صوري، فكان يرى أنه مالهوش لزوم في حياتي، بالتالي ليس لي لزوم في حياته.
للحظة فكرت في أن أنفذ هذا الحل، ولكن توقفت للحظة قبل أن أنطق بالموافقة، لأن موافقتي كانت عبارة عن هدم كل ما بنيته خلال هذه السنين، ليس فقط بريستيجي اللي حيتدمر بعد اللقب اللي حاخده بعد الطلاق.. لا كان أيضًا تدميرًا لماضٍ من الثقة المتبادلة مع من حولي.. خصوصًا والدي اللي زي ما يكون كان عارف.
حاولت توضيح حقيقة أحمد بالنسبة لي لعلاء وأنه كان مجرد ممثل بارع دخلته الظروف في هذه التمثيلية التي تعلو فيها الدراما. قلت له:
- علاء أرجوك فكر في بنتنا ومستقبلها اللي حيتدمر واحنا بعاد عن بعض.
- يعني انتي كنتي عملتي لها اعتبار؟!
- وبعدين مش أنت اللي قلت آخده معايا في كل حتة؟!
- أيوه كشوفير مش زوج.
- علاء أرجوك ما تصعبهاش عليا.. أنا مستعدة أعمل أي حاجة ممكن أن تنهي الخلاف اللي بينا ده.
- فعلاً؟ طيب خلاص كل واحدة حضرتي فرحها بالبأف ده تكلميها وتقولي لها على الحقيقة هي ومعازيمها.
كان عقابًا قاسيًا.. إزاي حاقول لكل من حولي عن حقيقة شخصية أحمد وصفته وعلاقته الحقيقية بي.. كل هذا كان في منتهى الضرورة، خصوصًا بعد نشر الصحافة الخبر ومعه صورة أحمد. قلت:
- خلاص ماشي أنا موافقة بس أنا مش حاكلم واحدة واحدة.. أحسن حاجة نعمل حفلة كبيرة ونعزم فيها كل اللي أنا وانت نعرفهم وأعتذر لك قدامهم

كلهم.. يبقى كده على الأقل أحرج مرة واحدة.

ودي كانت أحسن حاجة قولتها في حياتي، لأنه نظرا إلى أن علاء كان بخيلا فطبعًا لم يوافق، ولكن لأنه من نوع البخيل المحترم فعمل نفسه إن الموضوع مش مستاهل، وكل حاجة تداويها الأيام، وحكاية الحفلة دي ممكن نعملها في فرح بنتنا إن شاء الله.. ولكن كنوع من رد الاعتبار اتصلت ببعض صديقاتي المقربات وحكيت لهن أمامه الحقيقة.

أنا عقابي الفعلي أخذته من نظرات وتعليقات والدي طول فترة سجن علاء.. فكل تعليقاته كانت أسهمًا في قلبي.

طبعًا في أول طيارة رجعت إلى الإمارات مع زوجي رغم توتر العلاقة بيننا بعد كل هذه الأحداث.. ولكن بعد كم هائل من التنازلات رجعت المياه إلى مجاريها ورجع الود لعهده السابق.

obeikan.com

obeikan.com

الحب في زمن

الكاديلاك

obeikan.com

obeikan.com

كان محمد عبد الوهاب مصرًّا على السهر في «سان استيفانو»، أما راقية إبراهيم فقد استمرت في رفضها بكبرياء، ثم قالت في لهجة مبالغ فيها:

- يعني عندك إصرار إني أمتثل لرغبتك؟

- بالطبع نعم.

- مين هيرافقك لو أنا رفضت؟

وقال عبد الوهاب بثبات:

- محدش.. هاكون ممنون لو رافقتيني، لكن لو رفضتي هاروح لوحدي.

كنت أراقب الموقف من وراء النافذة الزجاجية لشرفة ذلك الشاليه حيث وجدت نفسي منذ دقائق.

ودخلت راقية إبراهيم ثم محمد عبد الوهاب بشحمهما ولحمهما الغرفة وتجادلا حول مكان تقضيتهما لسهرة الليلة. أراقبهما مذهولة.. إذًا فقد تحقق الحلم وأصبحت في أربعينيات القرن العشرين بكل ما شابها من تناقض وهرولة في التحرر تصل للطيش والنزق.. وما هذه الملابس؟!

فستانها الطويل والمكشوف الظَهر جدًا وشعرها الأسود ذو المدرجات وبدلة عبد الوهاب الرمادية المخططة وطربوشه الأحمر!

إذن أنا هنا.. ولكن من أنا؟!

هل سأبدو زائرة من العصر المستقبلي أم سيتدبر ذلك العبقري أيضًا مسألة إعطائي هوية؟

وردت راقية أخيرًا بلا مبالاة:

- ديزوليه.. مش هاروح.

- أوريفوار.

قالها عبد الوهاب بغضب وخرج. وقررت الخروج من وراء زجاج الشرفة لكي ألقى مصيري قبل أن تراني هي وتعتبرني لصة. تمتمتُ «استر يا رب»، ودخلت الردهة قائلة:

- صباحك سعيد.

وهتفت راقية.
- سنية.. إنتي هنا من إمتى؟!
لم أتلفت حولي في بلاهة بل استوعبت بسرعة شديدة أن سنية هذه هي أنا، وقلت وقلبي يدق عاليًا:
- من دقايق كان الباب مفتوح بس ما لاقيتش حد انتظرتك، وبعدين قلت اطلع البلكون أستمتع بزقزقة الطيور والبلابل الصداحة.
كانت جملتي الممتلئة بالمفردات الفصحى المتكلفة هي محاولة تقليد حوارهم كما أسمعه في أفلامهم القديمة.
- أنا كنت باخد شاور والشغالة راحت تشتري طلبات.
أراحتني وكنت قد وقفت أتنفس بصوت مسموع وأنا أنتظر نتيجة جملتي المخترعة توًّا، فما زلت أجهل من أكون بالنسبة لها.. صديقة أو قريبة أو خادمة أو ربما أختها، وساعتها سأكون يهودية.. يا للعجب!
- شوفتي عبده بيعاملني إزاي؟!
قالتها بكل تأثر فقلت بحذر:
- هي العلاقة بينكم تسمح له بكده؟
- إنتي عارفة إننا مجرد أصدقاء بس الصداقة مش معناها إنه يملي عليا رغباته، بالذات نسهر فين.
ومططت شفتي كأني عليمة ببواطن الأمور، وسألتها السؤال الذي يلح علي منذ وجدت نفسي هنا:
- طب إنتي رافضة تروحي «سان استيفانو» ليه؟!
- أروح إزاي وانا هلاقيه هناك؟!
- عبد الوهاب؟
- لأ يا سنية.. إنتي نسيتي؟!
- المنوم بيخليني مش مركزة الصبح.
كانت مجازفة أن أقول معلومة طبية لا أعرف صحتها لكن من يبالي.

obeikan.com

- سمير بيبقى هناك دايمًا وانا خايفة منه.. من سمعته.
أملت رأسي محاولة تقليدها وأنا أدعي الفهم:
- ما تخافيش من حد إنتي قوية إنتي مثال للبنت العصرية المتحضرة المتمتعة بالمدنية الحديثة.
كنت أعتقد أنهم يفكرون بذلك الشكل وأجابتني بصوت هو مزيج من الدلال والأنوثة واللوعة، لا أعرف كيف:
- آه لو شوفتي نظراته.. تدوخ أي بنت مهما كانت عصرية وقوية.
وانتشيت وقد تساقط في طريقي ما جئت للبحث عنه في ذلك الزمن وأملت رأسي للناحية الأخرى على سبيل التغيير محاولة تقليد لوعتها التي لا أعرف لها سببًا منطقيًّا:
- ليه؟! شكله إيه سمير ده؟
- هو مش شاب جميل قوي بس نظراته وأسلوبه هما اللي فيهم كل السحر.
وازداد شوقي وفضولي لرؤيته وقلت لها:
- وهي بنت جميلة قوية زيك تخاف من المواجهة؟! لا.. قمة الانتصار إنك تروحي وتظهري له قد إيه إنتي مش متأثرة بسحره وشخصيته.
- تفتكري؟
- بالطبع نعم.
قلتها بقمة الاندماج. بدت على ملامحها الجميلة علامات بداية الاقتناع فأردفتُ في حذر:
- وانا يا ستي هاروح معاكي.
واستدركت وأنا لا أعرف هويتي وظروفي لربما أكون متزوجة يا للمصيبة:
- ده لو ما كانش ورايا حاجة.
قالت راقية:
- وانتي وراكي إيه هنا غير الخروج والفسح. عارفة لو ما كنتيش جيتي كنت هاجيلك العزبة، إنما أهلك وافقوا إزاي المرة دي؟!

وكدت أهجم عليها وأمطرها بقبلاتي فقد أخبرتني أنني من علية القوم ونمتلك عزبة. إذًا أنا غير مرتبطة لأنها تتحدث عن موافقة أهلي.. وأكيد أنا قاهرية وجئت للإسكندرية هذا الصيف بصعوبة.. فقلت في ثقة:

- أصلهم راحوا العزبة الصبح وانا اتحايلت عليهم كتير، وأخيرًا وافقوا.

- رجعيين أوي.. فين شنطة هدومك؟

- ودعتهم في العزبة وركبت الأوتوموبيل وطلبت من الشوفير حجز شنطتي عن شنطهم، وفوجئت هنا على الباب إنه غلط وجاب شنطة بابا بدل بتاعتي.. زعقت له وبعتتها معاه تاني.. وهيبقى يجيب لي شنطتي.. بس المشكلة إن فلوسي في الشنطة.

تنهدت في خوف ألا تقتنع بهذه السلسلة من الأكاذيب اللامنطقية، ولكنها هزت رأسها ببساطة قائلة:

- مش مشكله هدومي كتير ولو احتاجتي فلوس ممكن أسلفك.

- تفتكري الفستان ده هينفع للسهرة؟

- سنية إنتي اتجننتي؟! لازم فستان سواريه أنا هاروح أشتري واحد جديد وهاشتريلك معايا.

وأحنيت رأسي وأنا أتساءل عن شكلي.. أية فتاة عائلات أنا! وأنا سأعيش على نفقة صديقتي التي ما زلت لا أعرف كيف هي صديقتي! سبحان الله أنا سلمى عبد القادر عمرعزيز كيف أصبحت سنية؟!

حمدت الله على مرور أول مشهد أربعينياتي لي بسلام.

كانت جولتنا ممتعة في المحلات الأنيقة والواسعة جدًّا وكأن الأرض كانت رحبة بمن عليها. منذ طفولتي كان لدي اعتقاد راسخ أن البشر غير ملونين في تلك الأزمنة مثلما يظهرون في أفلامهم، وكبرت وعرفت الحقيقة، لكن الهاجس ما زال يراودني، كلما شاهدت أفلامهم أتخيلهم أبيض وأسود سذج غير أنيقين.. لكنهم ملونون.. ملونون يا أيتها الفتاة القادمة من الألفية الثالثة. كانت عيناها فرحتان خائفتان. لقد ادعت أنها تريد الهرب منه لكنها لا تبدو

لي كذلك. ووقفت طويلاً أمام أحد الفساتين وقالت:
- ظهره مكشوف قوي.
- ممممم.. عندك حق.
ثم أردفت حتى لا أبدو متزمتة ورجعية في نظرها:
- بس شيك ألا مود خالص.
وتعجبت.. ألم يكن الفستان الذي ارتدته صباحًا أمام عبد الوهاب مكشوفًا؟! ولكن لا عجب فهو صديقها، أما ذلك السمير شيء آخر. كانت السيدات لطيفات أنيقات تملؤهن الأنوثة لم يخضن بعد غمار المعركة في العمل والمساواة في الشقاء والبهدلة والإنفاق على البيوت حتى تلك التي بها زوج.
ليلاً كنا في سيارتها «الكاديلاك» موديل ٤٢ متجهتين إلى «سان استيفانو».. كانت الأناقة كلاسيكية.. السيدات جميلات.. المجوهرات تلمع في كل معصم وحول كل عنق.. رءوس الرجال لامعة.. حتى وجوههم.. أصوات الكئوس ترن في أذني برنين يجعلني أصدق أين أنا.
جلسنا وأنا أراها تبحث عنه وأخيرًا رأيته فقلت في سري:
- كلارك جيبل في «ذهب مع الريح» يا اخواتي!
قالت راقية بعد فترة وهي تومئ برأسها له:
- بتقولي حاجة؟
ولم أجب، فهي أساسًا ليست معي بل معه. عيناه عسليتان وشعره ناعم مصفف جيدًا للخلف وله الشارب الرفيع نفسه.. يجلس إلى البار بصحبة امرأة شقراء. ورفعت حاجبي الأيسر في تحدٍ. أشعر أن معركته لم تعد مع راقية بل معي. التفت إلينا الرجل ليرمي لراقية نظرة ساحرة مع ابتسامة تقول: «كنت عارف إنك جاية».. واصطدمت عيناه بي فظهر فيهما تعبير فضولي وارتسم فوق وجهي كل تحدي العالم، وكأن بيننا ثأرًا قديمًا.
كنت أشعر بحاجبي الأيسر ما زال مرفوعًا على طريقة زوزو شكيب، فحاولت إنزاله بلا جدوى.. هيا أيها الدون جوان سأعلمك أن فتيات القرن الجديد غير

أولئك الرقيقات البائسات الباكيات الموجودات في القرن الماضي.
راقص الفتاة الشقراء وهما يتضاحكان، والتفتُّ أنا إلى راقية المبتسمة الهائمة وسألتها:
- حاسة بإيه دلوقتي؟ مقاومتك أحسن؟
- أحسن قوي قوي.
كانت كل خمس ثوانٍ تنظر إليه بلا إرادة. قلت:
- راقية! إنتي معجبة بيه؟
- أنا !
نظرت إلي باستنكار شديد وأكملت:
- أبدًا أبدًا..
جاء إلى مائدتنا أخيرًا.. صافحها وقبَّل كفها وهو يقول:
- بون سوار جميلة الجميلات.
- بون سوار سمير بك.
- ما بلاش بك دي.. ناديني سمير بس، عاوز أسمع إسمي لوحده من الشفايف الجميلة دي.
ومد يده يصافحني من دون محاولة لتقبيل كفي، وقالت راقية بتكلف:
- أعرفك.. سنية صاحبتي.
- بون سوار سنية هانم.
هززت رأسي وبادلته البون سوار وجلس بجانبنا. التزمت الصمت أدرس الخصم.. إنه وسيم لبق جريء، لكنه عادي جدًا، لا بُدَّ أن يكون به عيب ما حتى لا يظل أمامي نموذجًا لرجل مثالي ولا أدري لِمَ!
قاما يرقصان.. وشردت في الماضي القريب.. جدًا.. فمنذ أقل من ٢٤ ساعة كنت في زمن آخر، بل ألفية أخرى.. بالتحديد عام ٢٠١٤.. وكباحثة اجتماعية كنت أجاهد لنيل الدكتوراة في سن قياسية، فأنا في الخامسة والعشرين. ويهتم أحد فصول الرسالة بالتطور في علاقة المرأة بالرجل وبالمجتمع على

obeikan.com

مدار القرن الماضي.. كل أمثلتي النظرية لم تكن تكفي فصرت ألتقي بكبار السن، ومنهم جدتي، للحصول على بعض الأمثلة والمعلومات العملية. في ذلك اليوم كنت أحاور جدتي عن ذلك الزمن وشكل العلاقة بينها وبين أبيها وزوجها، فتجيب من وحي ذاكرة تكاد تمحى، لكن عمي العالم العبقري يومها أخذني لمعمله الخاص الذي أنفق عليه ميراثه وعائد عمله بالخارج لفترة طويلة قائلا:

- طيب واللي يوديكي الزمن ده علشان تشوفي بنفسك؟

- مين؟! عفريت الفانوس؟

- لا.. أنا.. أنا عمك والمفروض أخاف عليكي أكتر من كده، بس..

- بس إيه؟!

اقترب مني هامسًا على الرغم من أننا بمفردنا وهو يخبرني بسره:

- عارفة بقالي كام سنة بادرس النظرية النسبية وتوابعها، بالذات الانتقال الآني؟ الانتقال الآني معناه إني أقدر أفكك ذرات جسمك بجهاز معين وبعدين يرجعوا يتجمعوا في مكان وزمان تانيين خالص.

وأكمل بشرود:

- التقنية دي بيتعمل عليها أبحاث جبارة وسرية في الدول العظمى، وعمك بقدراته المتواضعة قدر يوصل لها.

وأشار إلى جهاز يشبه مقعد مريض الأسنان وأكمل وقد قل حماسه:

- أنا قدرت أبعت فأر تجارب إنما إنسان لأ..

شرد ثم تابع بتردد:

- سلمى إنسي كل اللي قلته، بس اوعديني السر يفضل بينا.

- ليه يا عمو؟!

- لا يا بنتي، أنا مش هخاطر بيكي.. إفرضي ما قدرتش أرجعك تبقي ضعتي هناك؟ لا لا مش هاقدر.

- عمو.. إنت قدرت ترجّع الفار، إن شاء الله هترجعني.

- إفرضي أنا مت وانتي هناك.
- يووه يا عمو، إن شاء الله هتعيش وهتعلن اختراعك وتستمتع بنجاحك.
وظللنا نتجادل. كان يرفض بشيء من الضعف لكنني انتصرت بحماسي، وساعدتني أنانية العلماء، فهذه فرصته وفرصتي، ليس فقط لمتابعة الرسالة، ولكن بسبب حلمي الفانتازي القديم.. أن أعيش زمن الأبيض والأسود. وقلت له بشجاعة وكأنني أطلب علبة جبن من السوبر ماركت:
- وديني على الأربعينيات من فضلك.
- الأربعينيات.. مممممم زمن جميل، إحنا اتولدنا فيه أنا وأبوكي، عارفة عمتي كانت صديقة لمين في الأربعينيات؟ كانت..
وبتر عبارته بغتة وابتسم ابتسامة نصر وذهب وعاد بفستان لزوجته فاعترضت:
- ده سبعيناتي! ما ينفعش.
- المهم إنه فستان وخلاص، بدل لبسك الرجالي ده.
دوما كان ينتقد مظهري ولديه كل الحق. جلست على الجهاز العجيب وأتت لحظات الجد فانتابني الخوف.
- لحسن الحظ يا سلمى أن الزمن نسبي، يعني أقدر أظبط الإعدادات على أن أسبوع هناك هيعدي هنا كأنه ساعة، يعني ما تقلقيش، محدش هيحس بغيابك. أسبوع كويس؟
أومأت وأنا أراه يوصل بعض الأسلاك إلى أطرافي. ويقول:
- خدي بالك من نفسك يا بنتي، ولو الأمور تأزمت إبقي روحي لجدودك.
وأصابتني نصيحته هذه بالهلع، وسألت أهم سؤال نسيت أن أسأله إياه:
- عمي! هاروح فين؟ وبصفتي مين؟ وأعيش إزاي؟
ضغط على زر الآلة ولم يجب، بل ابتسم فصرخت:
- عمي رد عليا.
بدأت أشعر بتيار كهربي طفيف جدًّا في أطرافي وأنا مرعوبة، وقال أخيرًا وهو

obeikan.com

يخرج من جيبه صورة أبيض وأسود قديمة لفتاة تشبهني كثيرًا جدًّا، بل تكاد تكون أنا:

- ما تخافيش.

شعرت بهالة من الضوء تحيط بي واختفى عن نظري.

- تسمحي لي بالرقصة دي؟

التفتُّ بشرود لا أفهم جملته وكأنه يتحدث الصينية، ثم تنبهت.. لقد عادا للمائدة وهي كالتائهة بسبب الرقص معه، ما هذه السذاجة!

كرر طلبه فأجبت بتمهل:

- بكل سرور.

حاولت مجاراة خطواته المتمرسة وظللت صامتة ولم ينطق، بل سلط علي عينيه بإلحاح ووصلت أنفي رائحة عطره الغريبة، فتساءلت هل سيكون اسمها «نابلسي» أو شيء من هذا القبيل؟ قال:

- عينيكي حلوين قوي.

أجبته بتحدٍ:

- عارفة.

- للدرجة دي واثقة في نفسك؟!

لم أرد عليه، تشاغلت بمشاهدة البشر وللمرة الألف أهتف إنهم ملونون. همست في سري: «يخرب بيت الأفلام القديمة».

- نعم؟!

- مفيش.. كنت بس باكلم نفسي.

- طيب ما تكلميني أنا أحسن.

- أنا ما اعرفكش.

- يا ستي أعرفك.

- سمير.. دون جوان.. غني.. مغرور.

قاطعته بكلمات انطلقت مني كالرصاص ثم ندمت إلى حد ما. فقال:

- مين قال لك كده عني؟ راقية؟
- لا.. ده رأيي الشخصي.. آسفة.. يعني مش آسفة قوي لأن دي الحقيقة.
- أغرب اعتذار سمعته في حياتي.. آسفة.. مش آسفة قوي! تعرفي إنك كده بتظلميني؟
بسخرية قلت:
- أنا مش ظالمة.. أنا جبارة.
فقال بالقرب من أذني:
- جبارة فعلاً.
فهتفت:
- لا ما تقربش من ودني كده وانت بتتكلم.. بغير.
- بتغيري على مين؟
- مش بغير على حد، أقصد ما أحبش حد يتكلم جنب ودني.
نظر إلي في تعجب من قدرتي على إفساد أي حديث يظنه رومانسيًا، وقال:
- إنتي مين بالظبط؟!
- أنا سنية.
وصمت فأنا لا أعرف لي لقبًا. فأكملت بكبرياء:
- هانم.
- طبعًا هانم.. أجمل هانم في الدنيا.
تنهدت لعودته للغزل وسألني:
- بتعملي إيه في حياتك يا سنية هانم؟
- باشتغل.. أنا باحثة اجتماعية في المركز الـ..
- برافو.. باحثة فين؟ سكتي ليه؟
بالطبع لن أقول المركز القومي للمرأة، فغيرت الموضوع فقلت:
- وانت بقى بتشتغل إيه؟ غني حرب؟
لم أكن أعرف لماذا أهاجمه، ربما السبب هو العداء المسبق الذي شعرت به

نحوه.. لكنني كنت مقتنعة أن أقرب طريقة لمعرفة طباع الرجل الحقيقية هي إغضابه إلى الذروة، ثم مشاهدة ردود أفعاله. تنهد ونظر إلي نظرة عتاب ثم تمتم:

- يلا.. قولي آسفة نص نص.

ابتسمت رغمًا عني وقلت:

- لا مش هاقول لأن دي هي الحقيقة.

- إيه رأيك اللي قدامك ده مدير مصنع كبير.

- بتاع والدك طبعًا.

قلتها باتهام.. فقال:

- أيوه.. فيها إيه دي؟!

- إنت ما تعبتش فيه.. لقيت عندكم مصنع لازم تبقى مديره، أمال يعني هتجيبوا مدير «تيك أواي»؟

- يعني إيه «مدير تيك أواي»؟! إنتي غريبة قوي!

- للأسف عارفة إني غريبة.

- بس بردو غرابتك دي عاملة فيا حالة من الـ..

قاطعته قبل أن يعود للغزل:

- قصدي إنك ما عملتش مجهود في المصنع، مجرد مالك ابن ذوات.

- إنتي شيوعية يا سنية هانم؟

- أبدًا الشيوعية دي نظام فاشل عشان كده سقط.

- إنتي بتعتبريها سقطت؟!

قاطعته:

- ده كلام نقوله واحنا بنرقص؟!

- عندك حق.. المفروض أسكت خالص.. كفاية إنك بين إيديا.

بين إيديه؟! ضايقني التعبير، وابتعدت إلى الوراء وهممت أن أعترض فهمس:

- ششششش..

هاجمني شعور مفاجئ من الارتباك والحيرة، وانفصلت عن الواقع وأنا أتساءل: من هذا؟ وأين أنا؟! رغما عني.. تسمرت قدماي وتوقفت عن الرقص فجأة وجذبني قريبًا لجسده لنكمل الرقصة وهو مغمض العينين يمثل دور الهائم ويهمس:

- وقفتي ليه؟

كان صوت الصفعة عاليًا وتقافز قلبي وأنا أرى نظرة الفزع تملأ عينيه، وحملق الجميع فينا بين شهقات من النساء وشماتة من الرجال، وجريت نحو المائدة مرعوبة لأخطف حقيبتي وراقية تعدو نحو سمير لتخبره بشيء لا أكترث له وتلحق بي غاضبة. قالت:

- سنية! إيه اللي عملتيه ده؟! إزاي تهيني سمير وتضربيه قدام الناس؟!

وقفت في وسط الطريق وهتفت:

- اتحرش بيا يا راقية.. عرفتي عمل إيه؟

وقفت تنظر إلي في بلاهة وتذكرت أنا أن هذه الكلمة هي فقط من مفردات عصرنا المشئوم، وخرج سمير يمشي بخطوات مسرعة ليقود سيارته وينطلق بها بسرعة متجاهلاً نداءها.

في السيارة كنا صامتتين؛ هي تفكر في جدية اتهامي لسمير الذي ربما أحبطها في بداية علاقتها به، أما أنا فقد تمزقت بين شعور بالغضب وشعور بالتسرع وعدم الخبرة.

أهم سكان ذلك الزمن الساذجون؟ بل أنا التي ألف ساذجة.

وصلنا لتخبرني ببرود أن لديها تصويرًا باكرًا، فطلبت مرافقتها، فقالت:

- مش هتتحملي الإرهاق والدوشة.. ولا براحتك.

أدركت أنني قد أخسر صداقتها بعد ما حدث، فقد أصبحت لهجتها باردة جدًّا، وذلك لا أتحمله فهي التي تستضيفني في غربتي الزمنية فقلت بأسف:

- راقية مش تزعلي مني، إنتي مش ليكي أي ذنب، واديني انتقمت منه على نزواته ومحاولاته تحطيم قلوب بنات العائلات.

- عندك حق.

قالتها وعيناها تكادان تصرخان «يا مجرمة». سارت باتجاه غرفتها ثم التفتت وسألت:

- سنية.. يعني إيه اتحرش بيكي؟!

obeikan.com

ظللت ساهرة، كنت أعلم أن الأمر لم يصل إلى التحرش بمعناه في ألفيتنا الثالثة، لكنني فوجئت بحالة من استرداد الوعي واستعياب أين أنا وماذا أفعل.. جعلتني أرتعب من جذبه إياي لإكمال الرقصة، ولكن هل علي أن أعتذر.

بالطبع لا، فللنساء هنا إباء لا يتماشى مع الاعتذار بالذات مع التهمة المشينة.

رن الهاتف فخرجت للردهة أجيب:

- ألو..

سمعت صمتًا فقلت:

- مين معايا؟

- وحشتيني.

- مين؟

قلبي يدق ويخبرني أنه هو. قال:

- أنا اللي ضربتيه قدام علية القوم من ساعتين.

- سمير بك.. أنا.

وتوقفت قبل أن أقول آسفة لأغير الموضوع وكأن الصفعة يمكن تجاهلها، وسألت بكبرياء:

- إنت عرفت إزاي إن أنا اللي باتكلم؟

- أنا عارف صوت راقية، وهي قالت لي واحنا بنرقص إنك ضيفتها في الشاليه.

- مممممم.. وبتتصل ليه؟

كنت أحادثه بكثير من جفاء:

- باتصل علشان زعلان.

- وبعدين؟

- زعلان ومتصل علشان تصالحيني.

- بلاش مبالغة.

ثم عدت أقول في تأنيب مزيف:

obeikan.com

- ثم إنت ازاي تعمل اللي انت عملته ده؟! إزاي.. إزاي تشدني كده؟!
- إحنا كنا بنرقص وفجأة وقفتي وشديتك بعفوية علشان نكمل رقص إنتي اللي اتسمرتي في الأرض.. إنتي ما رقصتيش أبدًا قبل كده؟
فأجبت:
- لا.. دي أول مرة أرقص وهتبقى الأخيرة.
- خفتي واتعقدتي!
- مش خايفة، أنا بس مش فاضية للرقص والحاجات الخايبة دي.
- أنا عمري ما شفت بنت زيك.. وعامة أنا آسف.
فوجئت باعتذاره، فقلت:
- طب تسمح لي يا سمير بك إني.. أطيب خاطرك؟
كان المصطلح يرضي كرامتي، وتمنيت أن يرضيه.. فقال:
- الله.. حلوة قوي أطيب خاطرك دي.
أدركت أنه خبير في انتقاء كلماته.. إن فارق العقود والألفيات لا يغيّر قدرة الرجال على الغَزَل.
- طيب أقابلك بكرة عشان تطيبي خاطري.
رغمًا عني كنت موافقة - حتى أدرسه بالطبع - ولكنني أظهرت التمنع، فقلت:
- ما اظنش هينفع.
- لا هينفع.
وأكمل بتصميم:
- بكرة الساعة ٩ همر عليكي.
- خليها ١٠.
كنت أريد أن أضمن ذهاب راقية للتصوير.
- بون وي.
- بون وي.

كنا صامتتين على الإفطار لا أكاد أتبين ما الذي يدور في عقلها وسألتني بنغمة ليست طبيعية:

- يعني الشنطة ما جتش!

فوجئت بسؤالها:

- هاتصل بيهم بعد شوية واشوف الخبر.

وتصفحت راقية إحدى المجلات ثم هتفت باستنكار:

- يعني أخوكي جاله بيبي جديد وما قولتيش.

التفتُّ إليها في فزع، وقالت معترضة:

- وسماه عبد القادر.. فيه حد يبقى اسمه عمر ويسمي البيبي عبد القادر؟!

- وريني كده!

بدت الأسماء التي ذكرتها مألوفة لدي. خطفت المجلة لأرى تهنئة من أحد البكوات إلى عمر بك عزيز، يهنئه بالمولود الجديد عبد القادر عمر عزيز. عبد القادر هذا أبي! وعلى الرغم من كوني مصدومة قلت بسرعة:

- نسيت أقول لك.

يا إلهي أبي وُلد الآن؟! وتعتبرني عمة المولود؟! إذن سنية هي أخت جدي عمر، وعمة أبي، تلك التي قال لي عنها عمي وهو يشغل الجهاز: «عارفة عمتي كانت صديقة لمين في الأربعينيات؟».

واتضحت الحقائق أمام عيني، فالصورة التي تكاد تطابقني والتي رفعها عمي أمام وجهي قبل ذهابي بلحظات كانت صورة سنية عمته. كان يود أن يقول بابتسامته المشجعة ألا أقلق وأنني سآخذ مكانها في الأربعينيات، وأرسلني إلى صديقتها راقية. «آه يا عمي عبقري بجد».

اعتذرت عن مصاحبتها للتصوير بحجة الصداع، وجلست أعيد استيعاب الحقائق الجديدة.. أبي المولود الجديد، ليتني أستطيع أن أذهب وأراه وهو رضيع كيف هو شكله.. هل يبكي الآن جائعًا؟

يا إلهي، وهل من الممكن أن أحمله في يدي؟ أبي المهيب الناضج تهدهده

obeikan.com

ابنته!
الحقيقة الثانية كانت شعورًا ببعض الطمأنينة والثقة، فلدي عائلة في هذا الزمن، أي نعم لو رأوني سيطردونني ويتهمونني بالنصب، ولكن مهلاً لِمَ كل تلك الاحتمالات فالأمور لم تتأزم بعد.
انتظرته خارجًا وأنا أشعر بالاندفاع.. صافحني واستبقى كفي بين يديه وقال:
- وحشتيني.
رغمًا عني ابتسمت لابتسامته.. ربما هو طيب القلب، فلا يبدو أن هذا قناع للإيقاع بي، أم هذا الصدق وتلك الطيبة هما وسيلته لكسب القلوب ولدفع تهمة الدون جوان عن نفسه. وزالت ابتسامتي وحل مكانها عبوس يناسب ظنوني فهتف:
- يا ساتر!! مش هاين عليكي تكملي الابتسامة؟!
ركبنا «الكاديلاك» المكشوفة التي سارت على الكورنيش الجميل وأنا مندهشة من اتساعه عن أيامنا وروعة المنظر، ولمحت محل صائغ فخطر لي خاطر وأنا أنظر إلى خاتمي.
خرجت من محل الصائغ بعد أن بعته بثلاثين جنيهًا، فلن أعيش على الاقتراض من راقية. وسألني عما فعلته بالمحل، فقلت:
- خاتم عزيز عليا واتكسر قلت أصلحه، ما اقدرش اشوفه مش في إيدي.
- وعزيز عليكي قوي كده ليه؟ كان من مين يعني؟
كدت أجيب لكنني لاحظت رنة الغضب في صوته فسألت بحدة:
- وانت إيه شأنك؟!
- من مين يا سنية؟
- سنية بس؟ من غير هانم؟!
أيعتقد الخاتم مثلاً ذكرى من حبيب؟ وما شأنه؟ أهو يغار علي ذلك الذي عرفته بالأمس؟! أم يحاول ادعاء الغيرة؟
صمت وأخذ يزفر فتجاهلت ما يحاول إظهاره وقررت اكتشاف قيمة

obeikan.com

الجنيهات ثمن الخاتم.
- وقف هنا لو سمحت عاوزة أشتري حاجة.
كنت أريد شراء إيشارب قصير ألفّه حول رقبتي مع نظارة شمسية ذات إطارات بيضاء كبيرة، فهكذا كانت النزهة تبدو في الأفلام. وحاول دفع الثمن فرفضت بشدة حتى أذعن لي غاضبًا.. وهتف وهو يفتح لي باب السيارة:
- عيب لما يبقى معاكي راجل وتدفعي انتي.
- وعيب أسيب حد غريب يدفع لي تمن حاجة.
- حد غريب؟!
قالها باستنكار فأجبت بتلقائية:
- أيوه غريب.. طب انت اسمك إيه؟ أنا ما اعرفش. وانا إسمي سنية إيه؟
وخرست نادمة على الجزء الثاني من جملتي، فطبعًا سيقول اسم أبيه وسيطلب اسم أبي، ومن المستحيل أن أجعل عمة أبي تدفع ثمن خروجي مع شاب مشهور وهي في منزلها، وربما يحتفلون الآن بسبوع أبي العزيز. وهمست في نفسي: «آااه يا بابا.. كان نفسي أحضر سبوعك».
- خرجتي معايا ليه؟ وكمان مش واثقة فيا ومعتبراني غريب؟ ومحتفظة بتذكار مش هسيبك إلا لما أعرف كان من مين.
ونظرت إليه.. يا إلهي أهو جاد؟ أم يمثل الغضب؟ هل كانوا يحبون بسرعة في تلك الأيام لهذه الدرجة؟
وتذكرت بعض الأفلام.. كان البطلان يتقابلان في حفل ثم مرة أخرى في حديقة بالصدفة أو بموعد وبعدها يصبحان حبيبين ويتدخل الشر ليفرق بينهما و..
قاطع أفكاري بقوله:
- تعالي نقعد على البلاج اللي هناك ده..
جلسنا صامتين كنت خجلة من وجودي معه وكأنني تركت شخصيتي العملية القوية في معمل عمي وأشعر ببعض الرهبة، بل الخوف منه، وطال صمته فسألته بتردد:

- بجد شعورك كان إيه لما ضربتك؟ مش مكسوف من الناس اللي شافتنا؟
قال محدقًا في الموج:
- انكسفت شوية، بس بعدها وغضب عني غفرت لك.
والتفت إلي.. كانت عيناه جذابتين فهربت بنظراتي واستطرد مازحًا:
- لو فكرت كدون جوان زي ما بتتهميني ظلم فالصفعة هتخلي بنات وسيدات إسكندرية كلها تتكلم عني أكتر.
- يااه ده انت طلعت كسبان، على كده ما كانش المفروض إني أطيب خاطرك.
عاد ليسلط عينيه علي وهمس:
- لا أنا محتاج تطيبي خاطري عشان أنا زعلت منك لأنك تهميني مش علشان شكلي قدام الناس.
- مش قادرة أصدقك.
- مصيرك هتصدقي.
ابتعدت في اضطراب قليلاً ووقفت أبلل قدمي بمياه البحر الصافية الزرقاء أفكر في تلك الحياة الهانئة.. فلا زحام ولا تلوث.
- بتفكري في مين؟ أنا كده هاغير.
- سمير.. تغير إيه! أنا لسه عارفاك إمبارح بس.
- بس أنا حاسس إني أعرفك من زمان، وأكيد إنتي كمان. لو خايفة أو معتبراني غريب ما كنتيش خرجتي معايا.
- لا بصراحة خايفة.
كنت أقول الحقيقة حتى أوقفه عند هذا الحد، وربما أوقف نفسي.
- مني؟! ليه؟!
- إنت نسيت مغازلتك للبنت الشقرا بتاعة أمس، وكمان راقية وإعجابكم المتبادل؟
- البنت كنت باجاملها عادي، وراقية شوفتها من أسبوع مع أصدقائها وتعرفت عليها وما حصلش بينا غير اللي شوفتيه إمبارح.

إذًا لماذا تحدثت عنه راقية بتلك الطريقة في أول حديث لها عند وصولي!
هتفت به:
- كتر خيرك بتجامل الجميع!
- واضح إنك غيرانة.
- أنا؟ أغير من مين وعلى مين؟!
وأمسك فجأة بكفي وبالذات إصبعي مكان الخاتم وسأل بجدية:
- طيب قولي لي إن الخاتم ما كانش من راجل.
- لا من راجل.
ترك يدي في عنف واستدار مبتعدًا فقلت:
- سمير استنى.. من راجل.. بابا هو اللي اشتراه ليا.
التفت مبتسمًا ابتسامة بريئة غير ابتساماته التي كان يوزعها في سهرة الأمس تمامًا.. وقال:
- بجد؟
- بجد.
لم أكن أعرف لماذا أحرص على تبرئة نفسي أمامه. يا إلهي ما الذي بدأ يحدث بيننا؟!
بعد ساعة من الثرثرة سبقته إلى السيارة وأنا أشعر بالدوار، من الشمس ربما أو من الموقف، أفكر في احتمال واحد فقط أحاول التشبث به وهو أن هذا حلم طويل وأمي ستوقظني حالاً، لكني التفتُّ للبشر والشوارع والسيارة «الكاديلاك» القديمة لأدرك أنه ليس حلمًا فاخترت الوجوم.. وصلنا الشاليه وهو يلح من أجل لقاء جديد. رفضت بشدة فقال هائمًا:
- لازم أشوفك.. ما اقدرش أبعد تاني عنك.
أجبته بلهجة تكاد تكون بكاءً:
- عشان ساذجة.. صح؟
- لا.. عشان إنتي أذكى وأجمل بنت عرفتها في حياتي.

نجح الكائن الأربعينياتي في جعلي أصدقه وأتعاطف معه ومع ذلك قاومت.
- أرجوك سيبني مع نفسي شوية.. لا كتير.. سيبني كتير.
عزمت ألا أراه مرة ثانية، هي بضعة أيام وسأرحل عن كل هذا.
مساءً أخبرت راقية المتلهفة إلى حقيبتي أن الشوفير حدثت له حادثة وهو قادم بها وهزت رأسها بلا مبالاة. وصباحًا رافقتها إلى التصوير ورأيت الممثلين القدامي وتعجبت من كواليسهم، فهم يضحكون ويخطئون ويأكلون معًا وأنا التي كنت أعتقد أنهم «منشيين» مثلما يظهرون في أفلامهم. عدنا مرهقتين وسمعتها من حجرتي تقول في الهاتف: أوريفوار. خرجت للردهة فبادرتني:
- ده سمير.. فكرت إني أتأسف له بعد اللي عملتيه.
- يا خبر يا راقية! وانتي ذنبك إيه؟ أنا اللي ضربته ومع ذلك الموضوع مش محتاج اعتذار لأنه هو اللي غلط.
زمت شفتيها لا أدري في ضيق أم غيرة، وقالت:
- بردو مصرة إنه ما اعرفش عمل إيه كده؟! سيبك من الرجعية دي، هو كان بيرقص معاكي مش أكتر.. خليكي سبور.
في اليوم التالي وبينما نحن جلوس في نادي اليخت وجدته أمامي.. دق قلبي بعنف بينما وقف مكانه يحدق فيّ.. وأبعدت نظري بصعوبة وقد ملأ الاحمرار وجهي واقترب قائلاً بلهجة الجنتلمان:
- هاللو يا هوانم.
وصافحها وهو يقبل كفها وأنا أحدق في هذه المغازلة.
ذلك الـ.. وحان دروي في المصافحة وضغط على كفي بخفة فهممت بجذبها لكنه لم يمهلني، إذ رفعها لفمه وقبلها فجن قلبي، ما الذي يفعله ذلك القليل الأدب؟!
بدأت راقية الحوار وهي تقول إنها تريد تصفية سوء التفاهم الذي حدث بيننا، وتبادلت أنا وسمير الارتباك مع كلمات من نوعية (حصل خير).
تحدثا كثيرًا بينما التزمتُ الصمت أفكر هل مجيئه صدفة أم حصادًا لمكالمة

obeikan.com

الأمس؟
وأدرت جسدي ووجهي بعيدًا عنهما وشردت في سمير ومفاجأته، كان هناك شاب يجلس أمامي اكتشفت أنه كان يحدق بي منذ فترة فأبعدت عيني إلى اللامكان وأنا أشعر بغضب غير عقلاني من سمير أو ربما هي غيرة.
كلا يا سلمى لا تحاولي مجرد التفكير في تلك الأشياء الوعرة، لا تتعلقي به، لا تكترثي لما يفعله، إياكِ والغيرة عليه.. تبعثرت أفكاري وأنا أسمع صوته بجوار أذني يقول بتهكم:
- لو عاجبك الشاب أهي ترابيزته فاضية، ممكن بكل الذوق أوصلك لهناك.
واقشعر بدني وأنا ألتفت للمنضدة لأجد راقية غير موجودة، وأبدأ في استيعاب كلماته البغيضة. اقشعر بدني لتلك اللهجة القاسية التي أبدًا لم أرها في فيلم قديم، فكل الأفلام يظهر أبطالها على قدر كبير من البساطة أو السذاجة..
- نعم؟! إنت ازاي تسمح لنفسك تكلمني بالشكل ده؟!
هتف بصوت خفيض:
- أنا جاي علشانك وانتي قاعدة وعاطيانا ضهرك ومتجهة ناحية الشاب ده!
- أقعد فين وابص فين مش يخصك، وثانيًا انت جاي علشان راقية، وكويس علاقتكم بقت تمام بعد سوء التفاهم اللي أنا سببته.
- ما تتحججيش براقية، قلت لك مفيش بيني وبينها حاجة، دي حتى راحت قعدت مع غبور باشا المليونير والمنتج السينمائي، بس انتي ما أخدتيش بالك وهي بتستأذن، كنتي في عالم تاني.
- مش تستفزني.. أنا مش مضطرة أدافع عن نفسي، ومع ذلك أنا ما كنتش بابص لحد.
كان قلبي يدق وأنا أرى كأس الغيرة تدور بيننا فنتجرعها نحن الاثنان بامتعاض. غيرة وشك وعتاب هي أشياء أكبر من تحملي.
تركت المنضدة إلى الشرفة وأنا أشعر بالغيظ من نفسي وقفت في الهواء أحاول تهدئة دقات قلبي وكتمان دموعي، لا يحق له أن يقترب مني بهذا

obeikan.com

الشكل.. لا يحق له أن يغار علي.. لا يحق له أن يحدثني بتلك السخرية.
نزلت دموعي وأنا أشعر بمزيج من اللهفة والفرحة والرجفة والشعور بالذنب. وشعرت به يقف خلفي فكتمت دمعاتي وأنفاسي.. وهمس:
- جرحتك! إنتي اللي جرحتيني ببرودك وتجاهلك، وحشتيني أوي وجاي علشانك وانتي حتى مش نظرتي لي ولا مرة خلال نص ساعة، عمال أكلم راقية في أي شيء وكل شيء وانتي حارماني حتى من عينيكي.
لا يمكن لفتاة مهما قاومت أن تنكر أن كلمات مثل هذه تذيب القلب، فمهما كانت غيرة الرجل تبدو قاسية التأثير، إلا أن قلب الفتاة يرقص رقصة مجنونة تمتلئ بالنشوة. حينها تمنيت رؤية ملامحه، لكن لم أستطع الالتفات وأدارني هو إليه لأنكمش على ذاتي من لمسته فيترك ذراعي وهو يتمتم بغضب:
- مش قصدي حاجة.. إنتي ليه محسساني إني أسد هيفترسك؟!
- سمير.. إنت عاوز مني إيه؟
قال بلهفة:
- عاوز أفضل جنبك على طول.. إنتي عملتي فيا إيه؟!
لم أعد أتحمل، لم يعد مفر من إيقاف كل هذا.
- أنا ما عملتش حاجة ولو أعطيتك أي انطباع له علاقة بأي عاطفة أو مشاعر فأنا آسفة.. أنا جاية هنا يومين وهامشي فأرجوك ما ينفعش يبقى فيه بينا حاجة.. أي حاجة.
غامت عيناه وارتجف قلبي لقسوة كلماتي التي تتناقض مع كل ما يحدث بيننا. تركته مصدومًا وخرجت من الشرفة بارتباك ولم يحاول أن يستوقفني كما توقعت أو كما تمنى قلبي للحظة واحدة مجنونة ذهبت لراقية وأخبرتها أنني سأذهب وحدي عندما خرج من الشرفة ببطء وعلى ملامحه العبوس. جلس إلى البار مديرًا ظهره لنا فانتابني الغضب، وأنا أدرك أنه سيشرب ويضاحك الفتيات بالضبط كما فعل في الليلة الأولى. وودعت راقية وأنا

أمشي ببطء وكأني نادمة على قرار ذهابي فكيف أراقب ما سيفعله في غيابي! وزجرت قلبي أذكّره بأن كل شيء انتهى. وأشعر بي منقسمة إلى شخصيتين تتصارعان أصعب ما يكون التصارع.

جافاني النوم وأنا أقنع نفسي بقراري؛ فسمير حتى وإن كان لطيفًا إلا أنه يفعل الكثير مما ترفضه شخصيتي وتربيتي. ثم تنتابني الغيرة وأنا أحاول تخيل ما الذي يفعله الآن.. ثم أتذكر أنني لست في مجال للاختيار أساسًا، فأنا زائرة مؤقتة.. فأبكي. كانت ليلة موجعة لقلبي وأنا أشعر بأعراض الانسحاب من علاقة انتهت قبل أن تبدأ!

مرت الأيام التالية هادئة رتيبة وقلبي يئن، ومع ذلك أتجنب الخروج معها كي لا أراه ولا أجيب الهاتف.. أحاول نسيانه.. حتى جاء اليوم الأخير.. صرت أحدق في كل شيء وكأني أودع الأثاث والألوان والحديقة والشجر وراقية.. وبينما أقضي ليلتي الأخيرة في فراشي واجمة سمعته ينادي علي من تحت شرفتي.. ودق قلبي في عجب وكأنه ينسف كل ادعاءات النسيان والتجاهل في لحظة واحدة.. كنت ممتنة لرؤيته قبل رحيلي. خرجت للشرفة وكأنني ليلى مراد تخرج لأنور وجدي أو محمد فوزي.

- سمير؟! إيه اللي جابك هنا دلوقتي؟!

دون أن أدري أتحدث بتلك اللهجة الهادئة الحالمة كما في الأفلام.. يبدو أن الزمن يختار لنا حتى طريقة حديثنا.. جعلني رحيلي الموشك أكثر رقة معه.. واقترب من سور شرفتي وقال بعاطفة:

- كفاية يا سنية.

تماسكت.. أو حاولت.. وأنا اتأمل ملامحه التي افتقدتها بشدة:

- ما ينفعش تيجي هنا.

- هتخرجي معايا النهارده.

على الرغم من لهفتي وسعادتي برؤيته هتفت بإصرار:

- لا.

- همر عليكي بعد ساعة تنزلي بدل ما اطلع واخبط عليكم واعمل دوشة.

تركني دون أن يستمع لاعتراضاتي على سهرتنا المزعومة. نعم مزعومة، فأنا لن أذهب بعد كل تلك المقاومة. بمجرد دخولي بدأت نفسي تحايلني، فأنا لن أخسر شيئًا بالذهاب، وهي في النهاية آخر سويعات لي في هذا الزمن.

مرت الدقائق على عجل ولم أحسم أمري، وقبل الموعد بـ١٠ دقائق قررت الذهاب وقلبي يدق بلهفة. كانت راقية قد نامت، ألقيت عليها نظرة أخيرة للذكرى، واستعددت مرتدية نفس ثوب السهرة الذي لا أملك غيره، ما الضرر في تكرار الثوب ونحن لن نذهب مرة ثانية إلى «سان استيفانو»؟!

وجاء سمير وهو يبتسم ابتسامة ساحرة وهمس:

- وحشتيني.

- وانت كمان.

نطقتها وأنا أعنيها تمامًا، فقد افتقدته بشدة.. إن ابتعادي عنه تلك الأيام ضاعف من مكانته لدي، فالبعد يضخم الأمور دائمًا.. البعد بين اثنين يضخم الإعجاب والحب والغضب والغيرة.. ربما يجعل الأشياء تبدو في غير حجمها الحقيقي.

فوجئت به يقف أمام فندق «سان استيفانو»، وصعقتني المفاجأة.

- جيبتني هنا ليه يا سمير؟!

- هي دي المفاجأة يا حبيبتي.

- حبيبتك؟!

نطقتها باستنكار.

- أيوه حبيبتي.. إنتي لسه مش عارفة إنك حبيبتي؟!

- ليه جيبتني هنا؟

- علشان أعرفك إني مش بيهمني الناس، بالذات اللي شافوكي بتصفعيني، نفسي أكسب ثقتك وتعرفي قد إيه بحبك ومش خايف على مظهري.

وأمسك كفي وغمرها بالقبلات فانهارت سدود ظنوني أمام سيول عاطفته.

جلسنا في أحد الأركان وأنا أنظر بقلق إلى الجميع.. ترى أيتذكرني أحدهم؟
تنهد طويلاً وقال معاتبًا:
- عملتي فيا كده ليه في نادي اليخت؟!
ماذا أقول؟! أأخبره بأنه لا طائل من كل هذا حتى لو كان حقيقيًّا وصادقًا؟
- سمير أنا بنت ناس ومش سهل عليا أخرج واسهر معاك.. أنا كنت باحاول أفرمل نفسي، حتى خروجي معاك النهارده عارفة إني هاندم عليه.
تغير لون وجهه وهمس بألم:
- يااه بقى معرفتي بتسببلك كده؟! للدرجة دي أنا مش كويس في نظرك؟!
- ما اقصدش.
احتلت وجهه نظرة جدية وقاطعني بشجن:
- هتحسي بإيه لما تفقدي أغلى وأعز إنسان عندك؟
- ....
- أنا فقدت أمي. أصلها ما كانتش أمي بس، كانت كل حاجة ليا؛ صاحبتي وحبيبتي وأختي، وانا كنت ابنها الوحيد.. أنا كنت بطبيعتي في حالي وماليش في السهر والاجتماعيات! أيوه اللي قدامك ده كان شاب مثقف في حاله مالوش أصدقاء غير الكتب.. بعد صدمة رحيلها وفراغ البيت ووحشته بقيت أقضي الليالي في القراءة وسماع المزيكا.. شهر ورا شهر وفي ليلة لبست «الاسموكنج» وقررت أنسى كل شيء.. قررت أضيع أيامي قبل ما هي تضيعني بين حزن وملل، وبقيت يوميًّا في النادي وفي الكازينو، وبقيت بامثل إني سعيد مع إني.. مجرد واحد وحيد وزهقان.
لم أتخيل أن وراءه شخصًا ناضجًا يعرف أنه لا يسير على الطريق الصحيح، ولم أتخيل قط أنه محروم عاطفيًّا لتلك الدرجة، ولا أن بداخله كل هذه المشاعر، أمعقول سمير الذي وصفته سابقًا بالدون جوان تلمع عيناه الآن حزنًا من الوحدة والاحتياج للحب؟! قلت بحنو:
- ياه يا سمير.. كل ده جواك؟!

- وأكتر.

التقط كفي بين راحتيه فبدأت اعترافاتي:

- أنا ما كانش قصدي إنك هتشبهني، أنا كان قصدي إني عمري ما خرجت ولا قعدت مع شاب.. عمري ما استنيت صاحبتي تنام عشان أخرج مع شاب هي معجبة بيه، أنا حاسة بذنب ناحية أهلي وناحية راقية.

- سنية.. إنتي ما بتعمليش حاجة غلط، أنا من أول نظرة وانا باحترمك، وكمان ما تقلقيش على راقية، هي كل يومين بتعجب بواحد حسب قيمة رصيده ودفتر شيكاته.

كدت أهتف: لن أكون هنا بعد يومين لأرى. واكتأبت ملامحي بشدة لذلك الخاطر. همس لي:

- لما قابلتك اتشديتلك.. حسيت إنك غير أي واحدة عرفتها أو هاعرفها.. إنتي حقيقية أوي.. محتاجلك يا سنية.

أوشكت على البكاء مما سببته كلماته. قال:

- ليه النظرة الحزينة دي؟ أنا ما اقدرش أتحملها أبدًا.

ما الذي فعلته بقلبي وبقلبه؟! أريد أن أعترف له.. ليس من العدل أن أقابل كل هذا الصدق بسري الكبير، ولكن ليس الآن، فلأعش كل لحظة باقية، وليكن اعترافي في النهاية. والتفتُّ إليه أنصحه:

- سمير إوعدني تتغير، إوعدني إنك تظهر الإنسان الكويس اللي جواك وبلاش صورة المستهتر دي.. قرب من والدك واهتم بمصنعك ومستقبلك، إنت كويس بلاش تعمل حاجة غلط أو حرام.

- بتوصيني ليه؟ إنتي هتبقي معايا تنوري لي طريقي وامسكي لي العصاية لو عملت حاجة غلط تاني.

- إوعدني بس.

قلتها بلهجة غاضبة وأنا أراه يمزح.

- حاضر حاضر أوعدك، بس بلاش كل الغضب ده، إنتي معايا وهتشوفيني

بنفسك وانا باعمل كل ده.

انقضت ساعتان ونحن في عالم آخر عن المحيطين بنا نثرثر ونصمت ونبتسم، إلى أن جذبني للرقص بعد ترددي.. وانسابت الموسيقى ناعمة هادئة.. تناسب نفسيتي ونفسيته فقط صامتين نتمتع بالصمت.

حاولت ألا أنظر إلى البشر من حولنا، لم أكن أريد أن أعرض نفسي لنظرات أجهلها.

- بحبك.

شعرت بالكلمة تخترقني، صدقتها بكل جوارحي فقررت أن أطلق لقلبي العنان لينعم بالسعادة. آه يا عمي لعلك لا تنجح في خطفي من هذا العالم الجميل. وسرحت أتخيل قصة حبنا تتوج بـ..

- قولي حاجة.

همس بها بثقة وباستجداء معًا.

- مكسوفة.

لم أستطع أن أنطق غير هذه الكلمة، وليفهم منها ما يشاء، واحمرت وجنتاي كثيرًا.

- يعني..؟

هززت رأسي بالإيجاب، فأكمل بلهجة صادقة:

- بحبك.. بحبك.

وأمسك كفي ووضعها فوق خده برفق وهو يقول:

- خليها كده شوية.

لماذا وضع راحتي فوق خده الذي صفعته؟ أما زال يذكر الصفعة ويربط بينها وبين وجودنا هنا؟ عكر ذلك صفوي فحاولت سحبها فتعجب.

- فيها إيه؟ ما انتي بترقصي معايا وقريبة مني، فيها إيه لما أحب أحس بإيدك فوق خدي؟!

كان عنده كل الحق، إذا كنت من البداية أرقص معه ويدي فوق كتفه ما

obeikan.com

الفرق وما العيب إذًا أن أترك كفي فوق وجهه؟! وسألت نفسي: هل ما يهمني فقط هو الناس؟ أم لم يعد للعيب والخطأ مكان في حياتي؟!
تعجبت مما أفعله، ففي زمني لم أكن أتخيل أنني سأفعل ربع ما فعلت هنا، لماذا كل الأشياء نسبية حتى الممنوع والمسموح؟! فقد صرت أكثر تحررًا مثلهم ورغبة في الاستمتاع بالحياة، وعدت أستدرك لنفسي:
- لكن في حدود-لا أدري صدقًا أم خداعًا.
نظرت إلى الراقصين من حولنا لأفاجأ بأن كل البشر جلسوا وأنني أنا وسمير نرقص وحدنا، ارتعش قلبي لابتسامة ساخرة وجدتها فوق وجه إحداهن. أشفقت عليه، بالتأكيد يتعجبون من ذلك الموقف الذي وضع فيه نفسه، ولكن ما لهم لا ينظرون إليه بل يحدقون في أنا؟! ارتفعت ضحكة قريبة من سيدتين يتهامسان وخلفهما رجل يرمق سمير بنظرة بها بعض الحسد تكاد تعني «برافو». وفجأة برق في ذهني شعاع من النور.. إنه يخدعني وأتى بي إلى هنا ليرى الجميع أن من صفعته بالأمس هي اليوم ترقص معه طويلاً في المكان نفسه وكأنها تعتذر له علنًا. ابتعدت عنه فجأة وأنا أهتف به:
- لئيم.. مخادع.. كداب.
جريت بطاقة رهيبة من الغضب والصدمة وطاردني وهو يهتف:
- لا يا سنية مش تاني.. مش تاني تعملي فيا كده.
انهرت في البكاء. وصلت الشاليه ودخلت بهدوء وأنا أرى الحلم انقلب كابوسًا. رميت نفسي فوق الفراش وأنا أبكي بعنف أحاول أن أتحكم في شهقاتي حتى لا أوقظهم وأنا أسخر من نفسي.. هل عرفتِ الآن كيف هو الحب في الأربعينيات؟! أدخلتِ نفسك في تجربة مخيفة.. قذفتِ بنفسك في عالم ليس عالمك بحجة إكمال الأبحاث! ارتبطتِ بشخص لا تعرفين عنه شيئًا.. عشتِ حياة ليست حياتك.. أخذتِ - ولو وهمًا - رجلاً تحبه صديقتك أو تلك التي قفزتِ إلى بيتها في لعبة مجنونة.
كانت التهم كفيلة بإعدامي في محكمة الفضيلة، لو أن هناك محكمة بذلك

obeikan.com

الاسم.
إذًا ألا تستحقين أن يخدعك أحد الشباب الطائشين؟
- سنية كلميني..
كان يصرخ أكثر منه ينادي. خرجت مسرعة قبل أن يوقظ صوته راقية والجيران القليلين، وهتفت به ثائرة من شرفتي:
- إمشي من هنا ووطي صوتك.
- فهّميني..
- يا ترى كان فيه رهان.. ولا مجرد ظهوري معاك في نفس المكان كان كافي؟
- إنتي بتقولي إيه؟!
كان مذهولاً عندما استوعب حديثي، وقررت أن أقول كل شيء، فلا شيء سأخسره أكثر من قلبي.
- إنت ضحكت عليا.. أنا سلمى عزيز اللي عمر ما سمحْت لشاب يقرب مني أتخدع من واحد زيك؟!
- سلمى مين؟!
قالها مذهولاً.
- بس أنا اللي غلطانة.. أنا المفروض ما كنتش آجي هنا أصلاً.. أنا اللي أستاهل واحد زيك يخدعني.
دخلت مسرعة وأنا أتألم من ألم دفين.. ألم الحب.. فكل دقيقة تمر تجعلني أدرك كم أحبه.. أحب الشخص الخطأ في الزمن الخطأ.
وساد الهدوء لأدرك أنه ذهب، وأنهار بكاءً من جديد، أتمنى أن تكون لحظة الانتقال الآن، وتمددت في الفراش أنتظر بأنفاس مضطربة أريد أن تتغير حالتي.. أريد أن أعود إلى عالمي.. أريد أن أنام.. نعم.. أنام قبل أن يدمرني الحزن وأنا أسترجع ما حدث. نعست بالفعل، لكن لمَ لا يتركني وشأني؟! لماذا يتسلل صوته إلى منامي؟! ظل صوته يلح فبدأت أستيقظ لأدرك أنني لا أحلم وأنه عاد بالفعل.. كانت الرابعة صباحًا.

- اطلعي يا سنية.. كلميني قبل ما أصحيلك كل الناس.
جلست مترددة ماذا سأقول غير ما قلته بالفعل، بل ماذا يريد مني أكثر مما كان ! وخرجت له وأنا أحاول التماسك وعدم البكاء.
- عاوز إيه تاني مني؟
هتف بانفعال:
- إنتي بتعملي فيا كده ليه؟!
وعاد وخفض صوته قليلاً وهو يتوسل وعيناه تلمعان بدموع أبت أن تسقط.
- حبيبتي.. مالك فيه إيه؟ إيه غيرك فجأة! أنا روّحت بس ما قدرتش أنام ولا أعمل أي حاجة في حياتي غير إني آجي واسالك عملتي كده ليه؟
وصرخ بي:
- أنا كنت عايش مبسوط من غير مشاعر، من غير حب، وبعد ما حبيتك تعذبيني كده؟! أنا اللي عملت كده في نفسي.
قالها وجلس بضعف على أحد الأحجار المحيطة بحوض من الزهور. كان التردد يملؤني والشك في نفسي قبل الشك به، لو كان يخدعني فلماذا يعود الآن وهو بهذه الحالة بعد أن حقق مراده هناك؟!
- روّح أرجوك، ما ينفعشي تيجي هنا دلوقتي.
- طيب افتحيلي ونقعد نتكلم.. أو.. أقولك اخرجيلي هنا نتكلم في الجنينة.
- ما ينفعش.
قلتها بضعف وأنا أريد أن أسمع تبريره ليرتاح قلبي من وخزات الشعور بالذنب وبأني مخطئة، وأكملت بعتاب مرير:
- وديتني هناك ليه يا سمير؟
وقف واقترب من شرفتي وهو يهمس:
- حبيبتي والله زي ما قلتلك بعد لقاءنا في نادي اليخت وإصرارك في البعد عني بسبب ظنك المستمر إني باخدعك وبتسلى، وعشان كده حبيت أثبت لك إني بحبك بجد وإني عاوز الناس كلها تعرف إني بحبك، حتى الناس اللي

شافوكي وانتي بتضربيني.
عاد ينظر إلي نظرات كلها عتاب وعذوبة:
- إحنا كنا كويسين إيه اللي حصل فجأة خلاكي تعملي كده؟!
قلت بصوت باكٍ:
- إنت ما شوفتش نظراتهم ليا كانت كلها سخرية إزاي؟
- سخرية من مين؟ منك انتي؟! طب وانا.. مين فينا اللي يبقى محرج يروح هناك؟ أنا اللي انضربت ولا انتي اللي ضربتيني وجريتي؟ أنا المشهور اللي كل الناس عارفاه ولا انتي اللي ما حدش عارفك؟!
كان منطقه سليمًا، لقد تصرف بشجاعة غريبة. وأكمل وهو يشعر بملامحي تلين وبنظراتي تصدقه:
- هو سهل عليا إني أروح هناك تاني؟! إنطقي.. كلامي صح ولا لأ؟
- صح يا حبيبي.
- إنتي قولتي إيه؟
وعدت أستجمع شجاعتي.. قلت:
- حبيبي.
- أخيرًا؟ قوليها وانتي بتبصيلي، عاوز أشوف عينيكي.
ورفعت عيني إلى عينيه لأهتز مما وجدته، وتسمرت نظراتنا وهو يهمس:
- بحبك.
واعتصرت قلبي لوعة وأنا أتذكر أنني لن أراه بعد الآن، وأنني قد أختفي في أي لحظة من أمامه. آهٍ يا عمي ليتك تفشل في اختطافي من هذا العالم الجميل.
- سمير دي آخر مرة هتشوفني فيها.
- لا..
- أنا مش سنية. أنا إسمي سلمى، ومن زمن تاني.
- الكلام ده قولتيه وانتي زعلانة مني، لكن دلوقتي خلاص يا حبيبتي إحنا

obeikan.com

اتصالحنا، وانا بحبك وهنتجوز.
- إسمعني وصدقني، أنا من زمن تاني بعيد عن هنا ٧٠ سنة.
نظر إلي في بلاهة وهو عاجز عن تصديق ما عجزت أنا نفسي عن تصديقه.
قال:
- بلاش هزار.
- أنا ما باهزرش.
فصرخ بي:
- إسكتي إسكتي.. ششششش.
وأمسك بيدي من بين قضبان سياج الشرفة، فجلست أرضًا حتى أقترب منه، وتقابلت أعيننا، وفي كل منها دموع.
- إيه اللي بيحصل ده؟!
انتفضت على صوت راقية المعترض شبه النائم وحاولت لا إراديًّا جذب يدي من يدي سمير لكنه تشبث بهما في قوة ولم تهتز فيه شعرة بعكسي أنا التي ملأني الاضطراب وصمتُّ. وماذا عساي أقول؟! وقال سمير بكل ثقة أكدت لي أنه لم يعدها بأي شيء:
- أنا بحب سنية يا راقية هانم.
- وما له يا سمير بك.
كان الغضب يملؤها، وأكملت بكياسة:
- بس المنظر كده مش ظريف، ولو كان ينفع كنت دعيتك تكملوا القعدة دي جوه، بس ما ينفعش دلوقتي.
وقلت أخيرًا دون أن ألتفت إليها:
- سمير هيروّح دلوقتي.
ودخلت راقية ببطء فهمست له:
- روّح بقى.
وقال لي وهو يقبل يدي:

obeikan.com

- هاشوفك بكرة إمتى؟
كانت خيوط من النور قد بدأت تبدد الظلمة التي حولنا فشعرت بقرب الأجل. كان من الممكن أن أجاريه وأعطيه موعدًا لكنني لم أستطع، وقلت:
- سمير، لو مش لاقتني بكرة أرجوك مش تبحث عني.
هز رأسه مستنكرًا فهتفتُ والدموع تتلألأ في عيني:
- سمير..
- نعم..
- بحبك..
- وانا باموت فيكي.
- أنا مش من هنا والله.. أنا مش عارفة أفهمك ازاي.
قاطعني وهو يقول بإصرار:
- مهما كنتي منين هاجيلك وهاطلب إيدك وهنتجوز يا حبيبتي.
- إفهمني بقى علشان خاطري.
وانفجرت في بكاء شديد وأنا عاجزة عن جعله يصدقني ويسامحني، ومد يده يمسح دموعي ويربّت على خدي.. وقال:
- حبيبتي بلاش دموع.. أنا ما اقدرش اتحمل اشوفك كده.
- طب امشي بقى.
- مش قادر امشي واسيبك.
واهتز قلبي فقلت وأنا أحاول أن أبحث عن حجة تبقيه معي.
- إنت أصلاً مش هتقدر تسوق وانت كده.. إيديك بترتعش.
- صح يا حبيبتي خليني معاكي بقى علشان مش اسوق واعمل حادثة.
قاطعته بأن وضعت أصابعي فوق فمه وهمست:
- بعد الشر عنك.
قبل يدي في حب وهو يقول:
- شوفي الشمس بتطلع من وشك الجميل ازاي لما بتبقي راضية عني؟

ونظرت إلى أول خيط من خيوط الشمس وهو يسقط على وجهينا وقلت بأسى:

- أهي الشمس الحقيقية هتطلع أهي.

ونظر معي إلى منظر الشمس البديع وهي تخرج من مكمنها معلنة بدء يوم جديد، وأنزلت عيني عن الشمس أنظر إليه أريد أن أملأ عيني من ملامحه.. والتفت إلي ببطء وهو ينظر إلي نظرة لا يمكن لفتاة أن تنسى رجلاً أهداها إياها. وفجأة انتفض جسمي وأنا أشعر بطاقة تحيطني.. ورأيت نظرته الفزعة وهو يراني أتلاشى تدريجيًا من بين يديه.. وهتفت بآخر كلمة لي:

- سامحني.

وأحاطتني هالة من النور وجسدي يهتز فأدركت أن الرحلة انتهت.

obeikan.com